عبير ظاهر

# سطرين حب

(رواية)

المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

اســـم الكتـــاب : سطريـــــن حـــــب

الـــتـــألـــيف : عبيـــــــر ظاهـــــــر

نـــوع العمـــل : روايـــــــــــــــة

إخـــراج الكتـــاب : أسامـــة أحمـــد خوجلـــي

الطبعـــة الأولـــى : 2024/2023

رقـــم الإيـــداع : 2023/5519

الترقيـــم الدولـي : 978-977-87412-7-8

الـــنـــاشـــر : المصرية السودانية الاماراتية

الدار المصرية السودانية الاماراتية : Facebook

Email : mahaelmukdad@gmail.com

TEL : 00 20 128 9024 05

أقر المؤلف بأنه وحده صاحب الحقوق الفكرية للكتاب، وأنه يضمن للناشر عدم التعرض من الغير بخصوص الملكية الفكرية، كما صرح أن هذا الكتاب ليس في مضمونه ما يمنعه القانون، وأن الآراء والأفكار التي يتضمنها محتوى الكتاب تعبر عن فكر المؤلف فقط ولا يعبر عن رأى الناشر، ولا يوجد داخل الكتاب نقل أو استعارة بما قد يعرّض الناشر للمسؤولية القانونية.

رواية

# سطرين حب

## عبير ضاهر

**"ما طول الحياة بعدد سنينها؛ بل بتنوع المشاعر في مداها"**

**"لوبون"**

طِيلة الطريق وهي ترفرف بسماء قلبي لم يغادرني التفكير بها لحظة، لا أرقب عِناقًا حارًا فور وصولي أو قُبلة مبللة بندى ثغرها العذب، سيأتى كل شيء في وقته وحينه ولكنني أريدها كما هي بتلك الهيئة التي تمرح بها في خيالى أيامًا وشهورًا وسنوات تهدهد خاطري المتعب وتتدلل عليَ بقية الأوقات، لقد تأجل لقاؤنا واستمريء البعاد, لكنكِ لم تفارقيني أقسم على ذلك ، فكل تعب يدفعنى إليكِ، شوقي مشتعل لايهدأ، يحلم بضم قدك اللين الفارع، يداي تتحسس منحنى خصريكِ المستقرين علي ردفين متماسكين، ويُسكت لوعتي هيبة نهديكِ الشامخين، تغمريني بنظرات عينيكِ المُكحلّة وأهدابهما تهوي على قلبي كأجنحة صقر، شَفتاكِ ناعمتان ،لامعتان وحمراوان كحبتي كرز شامي، ترتعشان في غواية وأسنانك البيضاء تضوي خلفهما بفتنة، ومِشًيتكِ بالغة السطوة، إن الأرض تفسح مداها لخطواتك، تتبخترين وتتمايلين كما يحلو لكِ كفرع أخضر مع حركة النسيم، رائحتك عطر الأكاسيا يعانق الهواء.

تستقر ابتسامة عريضة علي شفتيه، يتنهد بعمق، جفونه تضم على بعضهما البعض في وداعة يبتلع ريقه بتلذذ فلا أشهى من طعم الأمنيات في النفوس ولا أرق من نسيم الأحلام على الخواطر، يعتدل في جلسته ويتحرك للأمام قليلًا وهو يرنو بنظره جانبًا إلي الشخص الجالس في الكرسي المجاور له بالطائرة ليجده قد غفا من جديد في نوبة نوم متقطعة لازمته خلال الرحلة والتي استغرقت نحو الساعتين وثلاثة أرباع الساعة من مطار الكويت إلى القاهرة، ينتفض جسده مع كل استفاقة من غفوته ويزمجر بصوت مكتوم فيفتح علي الفور عينيه ويتلفت حوله ليرى هل شعر به أحد ويلتفت ناحية موهوب محدقاً في وجهه بعيون مثقلة بالنوم، يحاول فتحهما بصعوبة، ليتأكد هل انتبه لما بدر منه؟ فيما يتظاهر موهوب أنه لم يشعر بأي شيء، و هكذا في كل مرة، فيطمئن الراكب ويستسلم لغفوة جديدة، ربما هى حمولة زائدة يتخفف العقل منها، ينفّس عن خواطر تزدحم بالداخل، كلما واتته الفرصة أثناء النوم العميق أو الغفوة، يتأمل من خلف زجاج النافذة الزجاجية حركة السحاب السريعة

وتمدد اللون الأبيض لمساحات بلانهاية تشكّل الفضاء أمام ناظريهِ تهيئ كل متأمل لاستعادة بوصلة عالمه ومصافحة خياله، ويردف بنبرة جازمة:

-إن ما يناسبها من الألوان هو الوردي الناعم ستبدو به كفراشة ربيع تلهو في حديقة من الزهور أو الأحمر الصارخ اللامع كقرون فلفل حار، إن ما تظهر به سيسحرني وكل ما تختاره سيعجبني و لن أكرر غلطة أبى! يكفينا طفلان ،لا حاجة لكثرة تولد معها المنغصات، الفوضي والأعباء،أحب الأجواء الهادئة وهو دورها علي الأقل أثناء وجودي، أما باقي الأوقات فالأمهات يعرفن جيدًا كيف يسيطرن ويحتوين رعونة الأطفال ومدى تماديهم بالسخافات ،بكاء بلاسبب، كثرة حركة بلاداعٍ، وفضول مستفز ومزعج، وما أن أدخل من الباب عائدًا من العمل مرهقًا، عليها أن تجذبني إلي واحة الراحة وبساتين البهجة أجدها بانتظاري تجرى علي تحتضنى وتقبلنى وأنا أقول لها ليس أمام الأولاد بيد أني أخفي لهفتي وتعطشي، فأحتضنها وأنا أبدّل ملابسي وتخرج بخفتها المعهودة وتحضّر لنا الطعام فأقبل يديها وتتهادى في دلال وخفة وهي تحمل ما

تبقى من طعام إلي المطبخ وأنا ألحق بها، إنها تثيرني إلي أقصي حد وهي تنحني، تفرغ بقايا الطعام ثم تعتدل و تضع الأطباق في حوض المطبخ، أتابعها بعيني وترصدها أنفاسي أود لو أطوقها لأتزود من حديقتها ناضجة الثمار، يتشبث بي أولادنا فاستحي أن يروننا، لاأريد هذا، أتذكر أنني لم أكن أعرف ما يتم في الغرفة المقابلة لغرفة نومي أنا وإخوتي لعلنا فهمنا عندما كبرنا، فكلما اختلي الاثنان –أبي وأمي– ببعضهما كنت أغرق في خجلي تحوطني مشاعر الاستياء والرهبة والضيق، وكثيرًا ما لمت نفسي فلايحق لي أن أقتحم خصوصياتهم ولو في مخيلتي، كنت ساذجاً وأحمق، أو ظالماً ..

كيف أنكر عليهما بشريتهم؛ فالجميع يفعلونها, فلمَ هذا التناقض واللامنطق في عدّ الوالدين كائنات نورانية؟

بحداثة سننا نريد في أعماقنا لو أنهم ترفعوا عن مثل هذه الأمور، في مجتمعاتنا تتجذر مثل هذه الأفكار ومشتقاتها بالأذهان، تتبلور على مقاس الأمهات في الوقت الذى لاتهدأ فيه الأنفاس والخواطر والهواجس

حول كل مايتعلق بالنساء، دائما مايحب أن ينقل المجتمع المرأة ويرفعها بعد أن تتزوج وتنجب إلى مرتبة الملائكة .

لا أدرى ماسيكون عليه رأيهم حين يكبرون ويدركون الأمر وقت أن كنت أختلي وأمهم بغرفتنا نحرس زهرة أعمارنا و نقطف من ثمار بساتين الشباب؟ حينها قد يندهشون مثلما حدث معي ليتبدل هذا عندما يكبرون هم أيضًا يمرون بمثل ما جرى على الجميع من الأجداد والآباء، فالحياة صور مكررة ونسخ متشابهة وأحوال شبه متطابقة.

لو يعلموا كم أحبهم ربما سيكونوا كبارًا الآن في حال استمريت بأول خطبة ولكني فضّلت السفر علي إتمام الخطبة كما كانت البنت أقرب إلى خبلاء لاتحسن إلا الصمت الطويل والابتسام بلاداعٍ، خيرًا ما دفعتنى إليه الظروف والصدفة وسافرت، لم تكن الغربة هينة عليّ فالغربة تربة يقال تربة ولكن ماكان باليد حيلة في ظل أجواء شملّتني وكل جيلي من تراجع الأحوال الاقتصادية المتعاقبة منذ زمن وكأنه قد بات من سمات الحياة في بلداننا التي تمتلك ثروات لا نلمسها واقعًا ولانطّلع عليها سوى

بالمناهج الدراسية ومع ندرة فرص العمل وتبدد الأمل باقتراب انفراجة قريبة فكان أغلب مايحيط بنا يدفعنا إلى ضرورة التحلي بالصبر مع السعي الدؤوب، وكلٍ وحظه في الأخير، ما أقسى أن تصبح ضربات الحظ هي صاحبة الكلمة الفصل في توجيه دفة حياتك والحصول على ماتستحقه، وأمام أبواب بلدان خليجنا العربي المشرعة وجدت فرصة لي وكان المقابل مجزيًا رغم ماواجهني من بعض المتاعب هناك، ومع الوقت بت لا أستشعر أي معنى للغربة فوقتي موزع بين عملي والالتقاء بأصدقائي ومضاعفة مكاسبي وربما ساعد في ذلك أنني بطولي لا أحمل مسؤولية أحد غير نفسي، والأكيد أن حالي بلاعمل في مصر كان سيحول حياتي لجحيم ولن يكن لأي شيء معنى وأنا بلا عمل إلا عمر ينفرط وطاقة تتصاعد دخاناً وزفيراً حاراً في انتظار جديد يطول قدومه أو لايأتي، إن المغترب ليس فقط الذى يستقبل شمس كل يوم جديد ويطوي صفحة النهار وهو بعيد عن بلده ولكنه الذي لايشعر بقدومها ولايختلف نهار يوم عن ليل يوم آخر، يمكن أن تشعر بالغربة وسط أهلك إن كان قلبك متعباً ولا أحد يدري عنك شيئًا فالكف التي تمتد إليك لتأخذ

بيدك والروح التي تقاسمك أفراحك وشجونك تصنع لك سكنًا آمنًا ووطنًا كبيرًا بأى مكان.

1

فكرت كثيرًا في مسألة العمل بعيدًا عن هنا واتخذت قراري بعد وقت من الإقدام علي الفكرة و لم أندم لحظة على القرار بعكس آخرين ممن التقيت بهم ورأيتهم هناك؛ كانوا يشعرون بالغربة وعدم التكيف على الحياة بعيدًا عن أهلهم، بعضهم لم يستمر وعاد، والبعض واصل للنهاية حتى أني تركت بعضهم خلفي ولا أدرى متى سيعودن أما أنا فعدت لأنى تقريبا اكتفيت من المكوث هناك وكما خططت بالضبط من اليوم الأول لرحلة عملي وقرار سفري بأن أعود ثانية بعد وقت طال أو قصر وإن كان أول يوم لي في بلد غير بلدي قد خلّف بداخلي شعورًا لا أكاد أتجاوزه ولا أنساه؛ لقد شعرت بأنني غريب ووحيد وبعيد عن كل من عرفتهم كأني ولدت في التو لكن وأنا كبير مدرك لما تراه عيني وتسمعه أذني ويرصده عقلي ويتلاحق على خاطري, يومها لم أتناول أى طعام ولم أتذوق الماء

رغم العطش الذى شككت أني أشعر به وشربت كوباً من الماء في اليوم التالي .

كأني وجدت نفسي حيًا فجأة، بدت وجوه و أنفاس الناس غريبة عليّ تائهة ومتقطعة، غلبني النوم من فرط التعب وتمددت على سرير بارد وسط غرفة تتسع لثلاثة غيري جميعنا غاب في النوم ربما انقطع التعب قليلًا وسكتت كل الأفكار والأحاسيس والمشاعر إلى إشعار آخر

ورغم أن كل شيء بدا لي باهتًا وغير ثابت إلا أنني تكيّفت مع ظروفي الجديدة وعاداتها.

العقل ينفرد بامتلاك العدد الهائل من القدرات لاسيما سطوته المدهشة على اعتياد الأشياء، التكيف واعتياد الأحوال ينقذ الإنسان من الصراع المستمر مع واقعه فكلما استطعنا و تمكنا من مجاراة الأمور وتفهم المواقف امتلكنا المهارة والقوة التي تؤهلنا لتقبل أقدارنا أو تغيرها وتعديل مسارها، قبل سفري بعدة سنوات قلائل كان إخوتى قد تزوجوا، الأكبر عادل والأوسط علاء تباعًا، كما أدى أبي فريضة الحج بصحبة أمي،

وحافظت على الحضور في كل مناسباتهم و لم تفتني مناسبة واحدة باستثناء يوم وفاة جدتي لوالدي التي تجاوزت السابعة والتسعين عاماً على خلاف والديَّ وخاصة أمي التي كنت أتوقع أنها ستعيش طويلًا ولكنها رحلت ذات شتاء كان الأقسى عليّ ولم أحدد وقتها أو أعرف للآن أهو بسبب حزن عميق عليها أم لشدة البرد في الكويت بهذا العام عنه في بقية مامر وقدم من شتاءات متعاقبة، وبرغم الدفء الذى كنت أستشعره في كل زيارة لم أضعف أو أهتز أمام أي شيء يفرض المقارنة بين هناك وهنا ويجعلنى أفكر في العودة، فرصيدي مازال يتضاعف رغم إرهاق العمل، فحصولي علي عقد عمل هنا من وافر الحظوظ لي والتي لم تكن للأسف لاثنين من زملاء دراستي بالجامعة قسم هندسة البترول جامعة عين شمس طوال سنوات الدراسة وقد حاولنا سويا ولعدة مرات الحصول على عقد هنا ولكن هكذا جرت الأمور وتم حصولي على العقد وسافرت وحدي، وفي مطلع الأسبوع التالي التحقت بالعمل مهندساً بشركة البترول الوطنية الكويتية لتكرير البترول وإسالة الغاز وهي شركة عملاقة تأسست في أربعينات القرن الماضي جنوب الكويت العاصمة

وعلى بعد نصف كيلو من المكان توجد الأبنية المخصصة لسكن طواقم المشتغلين بالشركة من مهندسين ورجال أمن وعمال في أماكن مخصصة لكل مجموعة واشتغلت مع مدراء متفاهمين ويقدرون جهودنا وتفانينا في العمل فكل المهندسين المصريين خاصة يتمتعون بثقة المدراء هناك وينالون مكافآت وحوافز مالية سخية جعلتنا نضاعف جهدنا ونقبل على العمل رغم قسوة الظروف المناخية والمكانية بمختلف الفصول باستثناء فصل الربيع هناك، يقترب لجو مصر بالأيام العادية كما لمست دفء وود كبيرين من أهل البلد هنا وإن شذ عن القاعدة نفر قليل يعاني من بعض العقد النفسية تستوجب العلاج النفسي أو التسامح، تظهر أعراض المرض مع حملة جينات أصحاب الحضارات الضاربة في عمق التاريخ والعابرة بسلاسة لتظهر بجلاء ووضوح في قدرات أبنائهم وترصد مدى نبوغهم و تميزهم متى أتيحت لهم الفرص.

ربطتنى صلات طيبة بمعارف وزملاء من أهل البلد ومن بلدان عربية أخرى ولكننى لم أحرص على توطيد علاقتي بأحد ولكن الأمر تغير

مع الوقت و توددت إلى بعض الأسر المصرية من المقيمين هنا من سنوات طويلة سؤالهم الدائم عني ودعوتي في بيوتهم خاصة في شهر رمضان وكم تسابق بعضهم على ترشيح عرائس لي من أقاربهم في مصر أومن إحدى الفتيات التي تقيم مع أسرتها هنا، وهي ابنة أخت الأستاذ عبد اللطيف صالح المربي الفاضل مدرس الفيزياء بإحدي المدارس الحكومية وعلى الرغم من فارق العمر توطدت صداقتنا فهو أقربهم لنفسي من بين من التقيت بهم وتعرفت عليهم هنا من المصريين، الأستاذ عبد اللطيف إنسان رائع، معروف بدماثة الخلق، طيب القلب، مضياف، خفيف الظل ومرح، أغلبنا محب لإلقاء النكت، وقضيت معه أوقات كثيرة على المقهى الذى يقصده أغلب المصريين الموجودين هنا وعليه تقابلت مع كثيرين منهم وتعرفت على أماكن شراء الطعام والملابس والعيادات وأماكن المرح وقضاء الفسح والتنزه..

أما وخلال أعوامي السبع هنا لم يستوقفني ويؤثر فيّ أي موقف بقدر ما ماحدث لي أثناء إحدى زياراتي لمصر!

لقد رأيت سلمى وجدتها قد تزوجت وأنجبت أيضا لم يستوقفني شخص زوجها والذى أعرفه وأعرف أسرته، كانت تحمل طفلًا صغيرًا وبصحبتها طفل ثانٍ يمسك بكفها وهم يعبرون الشارع، كان شعورًا ثقيلًا استقر أعلى صدري وشرخ وجداني، معنى غامض التف حول خاطرى وراح يتردد بداخلي في جمل كلماتها متقطعة سقطت بعض الحروف عنها: كلانا اختار وجهته، إنها تجني حصيلة مرور الأيام أما أنا فأجني المال فقط ولم أتمكن من النوم لأيام حتى بعد عودتي من الأجازة ولم ينقذني سوى الاستغراق في العمل والتوحد مع متاعبه في تفكيك هذا الشعور البغيض ونسيت بعد وقتها ولفترة، صار زملائي يتعجبون من الإقبال المفرط وحالة النشاط المتجددة في العمل لا أحد منهم يعلم أني أسلط مشقة العمل علي المتاعب الداخلية التي تستهدفني من وقت لآخر.

وكان الوقت الذى أقضيه على المقهي وسط صخب الأحداث والقهقهات يشعرني بالونس، هنا رائحة شوارع مصر تملأ الأجواء، والأطعمة التي تقدمها المحلات الملاصقة للمقهي أكلات مصرية معروفة وشهية نقبل

جميعا عليها في بيوتنا واتجه عدد منها إلي تقديم أصناف من الأكل البيتي لزبائنهم في المطاعم الكبيرة والصغيرة فهنا نجد المحشي بكل أنواعه والملوخية وطواجن الأزر المعمر والبط المحمر والويكا وهى البامية علي الطريقة الصعيدية والتي اكتشفت أنها أشهى من البامية بالصلصة الحمراء وتقدم مع الخبز الكويتي المسمى لديهم بالرقاق ولكنه أشبه بالعيش الشامي المعروف عندنا في مصر، التدفق الملحوظ بأوقات الأعياد لأداء الصلاة في بعض الساحات المخصصة للصلاة مشهد يسترعي الانتباه ويعمق الشعور بالسرور والفخر معًا، تناغم بشرى مثير للدهشة والإعجاب معًا، ثاني عيد لي هنا، كنت قد تعرفت على أسرة الأستاذ عبد اللطيف والذى أصر على أن يزوجنى بأي شكل؛ فراح يقنعني بالزواج من ابنة أخته أمل والتي تعد الأفضل ممن رشحوا لأتقدم لخطبتها وذهبت بيتهم لأراها وتراني ونتعارف، كانت مناسبة لشاب يعمل في بلد خليجى يرفض الاندماج فيه، ويجد صعوبة في الانسجام مع أيً من بناته رغم أنها تمتلك قدرًا محدودًا من الجمال مع قدرٍ عالٍ من الأدب والعلم؛ فهي خريجة ألسن لغة فرنسية وصوتها رقيق ناعم

ورنان جاء متسقاً واللغة التى اختارت دراستها ولكن طولها لم يتجاوز المتر ونصف وتميل إلي سمنة ملحوظة وهى بمنتصف العشرين فكيف ستكون عندما تبلغ الثلاثين؟!

واعتذرت متعللًا بأسباب لاتقنع طفلًا ولكنها مثلّت طوق نجاتي من هذا المأذق لاسيما وأنني لاأريد أن أجرح مشاعرها أو يتعكر صفو علاقتى بعبد اللطيف والذي أحرص على صلتي الطيبة بأسرته أكثر من رغبتي بالزواج من أي بنت وفي هذا البلد الذى جئت إليه للعمل بالدرجة الأولى حتى وإن كانت العروس واحدة من بنات بلدي.

2

تتباعد كتل السحاب بسرعة خاطفة متراجعة للخلف ويعلو صوت المحركات مع ارتفاع مقدمة الطائرة لأعلى وهي تدفع الهواء بقوة تأهبًا للهبوط لتحدث هزات متتابعة بالداخل نبهت الكل وأيقظت من غفا ومن غط بالنوم العميق ثم بعد دقائق تصل الطائرة، تهبط على أرض المطار.

يتنفس موهوب الصعداء وقد ثقلت رأسه قليلًا فيظل على وضعيته في كرسيه والركاب من حوله يتأهبون لمغادرة الطائرة ، وهبطوا منها تباعًا من في هدوء.

وصل إلى آخر درجة من سلم الطائرة هاربًا، يدفع ذكريات تتراءى له وخواطر تسبق خطواته, ومازالت تتولّد بداخله مشاعر متناقضة لا يستطيع إيقافها أخمدت حرارتها دموع فرت على خديه رغماًعنه وما أن اقترب من بوابة المرور إلى صالة الاستقبال، راح يفتش في وجوه الحاضرين وابتسم ولمعت عيناه وهو يتأمل بحنين وشوق وجهين محببين لقلبه ونفسه؛ فاتجه إليهما مباشرة وعانق خالته فوزية بحرارة لتمطره بالقبلات وهى تتشبث بكتفيه وتنهنه بتأثر وعبد الفتاح يربت على كتف موهوب بحنان ويرقباه فى شفقة وهو يغالب دموعه هو الآخر ، يعانقه موهوب بحرارة ويقبل وجنتيه وجبينه .

عبد الفتاح: حمد الله على السلامة نورت بلدك وأرضك ومكانك.

يبتسم موهوب بود، وهو يدرك ما يرمي إليه عبد الفتاح من وراء كلامه وهو الذى لم يؤيد سفره لحظة واحدة.

موهوب: منورة بيكم ياعمي، وتتوقف سيارتان أمامهما لتقطع حديثهما

فيستقل موهوب واحدة بصحبة خالته بينما تلحق بهما السيارة التانية و عبد الفتاح يجلس بجوار السائق وبداخلها عدد من الحقائب وعلى سطحها البقية مثبتة بإحكام بواسطة الحبال المجدولة.

وفى الطريق ظل يكافح تدافع خواطره حتى يتسنى له أن ينصت لما تقوله خالته التي لم تتوقف عن الحديث إليه وعيونها غير مصدقة أنه بجوارها فيبتسم موهوب ويميل على يدها ويقبلها بحب وتقدير كبيرين مستشعرًا حجم فرحتها الظاهرة بعودته، وما يضاعف قلقي نظراتها وهي تتأملني كأم رؤوم، خالتى لم تنجب هي تعتبرنى ابنها الوحيد إذ كنت مطيعاً من صغري وكنت أتودد إليها ولا أفارقها أغلب الوقت الذي كانت تفتقدني فيه أمي وكلما بحثت عني وجدتني هناك عند خالتي، الشقتان كانتا متقابلتين مما سهل هذا التقارب الذى حظيت به دون إخوتي ولكنهم

ما كانوا يحاولون أن يزاحموني ربما لأن خالتي كانت تحبني أكثر منهم أو لأني أصغرهم أم لأنهم كان لديهم عالمهم الزاخر ومعارفهم وأصدقاؤهم، بعد التخرج التحقوا بأعمال متنوعة وتزوجوا جميعهم، أما أنا فاخترت السفر قبل رحيل أبى وأمي اللذين توفاهم الله بعد فترة.

تضع فوزية صينية العصير أمام موهوب وترفع أطباق الجاتوه على أخرى أكبر، تحملها وتدخل باتجاه المطبخ وهي تضغط على كتفه بإصبعيها فيبتسم ويرفع الكوب منصاعاً ويرتشف منه بتلذذ وتدور عيناه في أرجاء الشقة الفسيحة متناسقة الألوان والمرتبة بعناية، تبدو زوايا وأجواء الشقة بكل ما تحوي من قطع الأثاث والفرش وفازات الورد الصناعي المنوعة والتابلوهات أقرب إلى متحف للمنحوتات كل شيء ثابت وجامد.

خالتي صارت بنيتها هينة بعض الشيء لزحف العمر ومع أن كفيها رقيقان لينان إلا أن عناقها أرحب من فضاء السماء وحنانها فياض كنهر جارٍ ولمسة يدها الحانية تسند قلبي وتشد ظهري، أمي كانت طيبة وحنونة

ولكن ليست مثل خالتي، فهي وزوجها نموذج يحبب إليّ فكرة الزواج أحيانا حتى أن عدم الإنجاب لم يؤثر على علاقتهم و دفة حياتهم في شيء، فكيف يؤثر أمر كهذا رغم أهميته طالما بين الزوجين حب وود وانسجام ولكن خالتي كانت تتمنى بشدة أن تنجب ويكون لها أولاد ولم تترك زوجها بسبب عدم قدرته علي الإنجاب واختارته، أتذكر ذات مرة حينما كنت صغيراً أن قرصتني أمي من ذراعي وزغدتنى في صدري وهي تضغط على أسنانها بغيظ وذلك عندما سألت خالتي: فين ولادك؟ عايز ألعب معاهم!

لم ترد خالتي وأحنت رأسها ولأنها تبسمت كررت سؤالي و اسكتتني أمي بالضرب وهى تقول: معرفش أبوك سماك موهوب ليه وأنت حمار أصلا!

ونظرت لخالتي وهى تقول: أبوه شايفه ناصح وفهمه خفيف ومش مصدقني لما أقوله ده واد رخم وكتير الكلام... متخديش في بالك يافوز ياحبيبتي قلة أدب عيال

ويومها عندما رجعنا إلى شقتنا نادتني أمي ولما جلست أمامها أمسكت بيدي وقالت: موهوب!

-نعم ياماما؟

-ينفع كده خلتني أضربك... لما العيال بتتريق على اسمك مش أنت بتزعل؟ هنا أنا شعرت أني أخطأت وتأكدت إني أسمعت خالتي ما لا يصح ولأني شردت زعقت فيّ أمي وقالت متوعدة : بس لو قلت لخالتك كده تاني هخلي أبوك بقى هو اللي يضربك.

ولأن ضرب أبي أشد وأقسى؛ خفت وتعهدت يومها لأمي بألا أسأل خالتي عن أولادها ثانية.

ولما كبرت عرفت إن خالتي وزوجها لا ينجبان وأدركت سبب اهتمامهم وحنانهم عليّ من صغري فهما يعتبرونني ابنًا لهما.

فعندما توفيت أمي لم يسعني إلا بيتها وقلبها كنت أنا المتبقي من الأسرة وأعيش في الشقة بمفردي على الرغم من تعرضي للعقاب من أبي كلما

قفشني لديهم إلا أن أمي كانت لاتمنعني عن خالتي أو الذهاب إلى شقتهم التي تبعد مترين عن شقتنا فقط، أما عمي عبد الفتاح فكان لايطيق أبي وقلما جاء عندنا رغم محاولات الأختين في التقريب بينهما إلى الحد الذي نفذ معه كل طاقة الصبر والحقيقة أن أبي كان صعبًا ولا يطاق، ولعمي عبد الفتاح كل العذر، لقد كان أبي فظًا وحادًا في التعامل معه ويتكبّر عليه لأنه كان يعمل فى هيئة البريد أما زوج خالتي فهو صاحب محل حلويات ورثه عن أبيه وحينها كان الموظف يعتبر نفسه أفضل وأميز من العامل الحر أرى أن هذا هو السبب أو أن هناك سبب آخر!

كانت أقسى الفترات عليّ وقت خلافهم وتباعدهم لشهور وأحيانًا أكثر حيث كنا نحرم من دخول شقة خالتي وإلا تعرضنا للعقاب وكان غالبًا هذا مايقع عليّ بعد أن يفشي إخوتي بسري إلى أبي الذي يأس من كثرة تعنيفي وضربي للحد الذى دفعه ذات مرة و كنت قد ذهبت كعادتي وكان يتعين عليّ العودة قبل عودة أبي من عمله فما أن أغلق عمي عبد الفتاح الباب خلفي فوجئت بأبي يصعد درجات السلم ووقع نظره علَّي

فالتصقت قدماي بالأرض بينما ظل هو صامتا لبرهة بعدها تقدم ناحيتي ومد يده وأمسك بكفي وأنا أقرب لحال فأر مذعور وإذا به يرن الجرس لينفتح الباب من جديد وإذا بخالتي والتي تظاهرت بأنها لم ترني منذ فترة وعينها عاتبة على أبي بسبب خصامه لهما ومنعه لأمي وإخوتي من الذهاب عندهم ورحبت بنا ومسحت على رأسي بحنو ونادى أبي على عمي عبد الفتاح من أمام باب الشقة ليأتي من الداخل مهرولًا

– حسين!.. اتفضل يا حسين واقف كده ليه..

فدفعني أبي باتجاه خالتي وهو يقول لعمي عبد الفتاح

–خذه يا عبد الفتاح ... خذيه يا فوزية

فنظرا لبعضهما البعض ثم إليّ وأنا لاأفهم مايحدث أتنقل بنظري بينهم مستغربًا

وأردف أبي وسط صمتهم

– مش عايزه!

و لم تمتد يد أيِّي منهما ناحيتي! واستدار أبي متجهاً إلى شقتنا ورأيت خلف زجاج الباب أمي وإخوتي رؤوسهم ظاهرة ووجدت عمي عبد الفتاح يجذبني ويدخل ليقول لأبي في هدوء بنبرة صوته الدافئة:

– احنا بنعزه ونحبه لأنه ابنك.. ابن حبيبي وصديقي وعديلي ومن النهاردة مش هسمح له يجي ولا نشوفه إلا معاك.

فاهتز أبي لكلمات عمي عبد الفتاح وتعانقوا بحرارة ومن يومها وأنا لم أغادر بيت خالتي بعد تصالح أبي وزوج خالتي، كان هذا اليوم عصيبًا وظلت تفاصيله تلازمني لفترة ولماعاتبت خالتي وعمي عبد الفتاح بعدها بأيام وأبلغتهم أنني غير راضٍ عن رد فعلهم يومها فاستغربوا وأخبروني بأن ما فعلوه كان هو الصواب وذلك حرصًا على علاقتهم بأمي وأبي وأن ما قام به أبي كان بدافع الغضب وبغرض إحراجهم وأفهموني أن أبي متمسكاً بي ولكنه فقط ساخطاً علي التصاقى بهم ولكنني ظللت ثائرًا ومتأثرًا لفترة وظل إخوتي يذكرونني بذلك اليوم عند كل شجار وقبل هذا اليوم وبعده كان إخوتي يتضايقون مني لأني أذهب كثيراً إلي بيت خالتي

فكانوا يلحقوا بي إلى هناك فتستقبلنا بحب وتغمرنا بحنانها ومن بعد يوم التسوية هذا لم يعد أبي يمنع أيا منا من الذهاب و البقاء لدى خالتي بأي وقت وفي بعض الأحيان كان يطلب منا أن نذهب للعب هناك أوقات الظهيرة من كل يوم فهو وقت قيلولة أبي وأمي فكنا نلعب طوال الوقت تاركين خلفنا فوضى بالمكان وكنت أشفق على خالتي مما نسببه ففي يوم تركتهم هناك وقد نفد صبري من الصخب والإزعاج وظللت أطرق الباب ففتح لي أبي بعد لحظات وتأملني مستاءً وسألني : لما عدت ؟ فقلت: إخوتى مزعجين ولا أريد أن ألعب معهم فجذبني من يدي وقال لي: ادخل ياحيوان، فدخلت ورحت أبحث عن أمي وناديت عليها ولكنها لم ترد عليّ فتوجهت مباشرة إلى غرفتها وطرقت الباب بتعجل لتخرج ليّ فقد كنت جائعًا ولم انتظر أن تقدم ليّ خالتى أى سندوتش وبينما أهم بطرق الباب مجددًا فوجئت بأبي يصفعني على وجهي وهو يقول ليّ بضيق ونفاد صبر: أنت دايمًا مستعجل كده .. روح اتخمد دلوقتى! وبالفعل أسرعت عائداً إلى شقة خالتي واندسست وسط إخوتي وعاودت

اللعب وتذكرت وأنا كبير هذا الموقف وجدت أن أبي كان حريًا به وقتها أن يطلق عليّ النار!

3

بعد ساعات لايدري موهوب كم هو عددها استيقظ فائقًا منتشيًا مثل يوم لعبٍ طويلٍ مما كان يقضيهم مع أقرانه بشارع العاشر من رمضان بقلب مدينة قليوب ذلك الشارع الطويل الهادىء أرضيته الممهدة وأشجار الفوكس أمام أغلب البيوت ساعدت في توفير أجواء حانية تشجع الأطفال على اللعب وتقيهم من حر الصيف على امتداد شهور الأجازة الصيفية وعلى الجهة المقابلة لمباني الشارع تقع بعض المحال التجارية الصغيرة لتوفير البقالة تحديدًا أما مطاعم الفول والطعمية فكانت في الشارع المجاور لهم مباشرة كما يوجد به فرن بأوله وآخر بأوسطه، واحد يخبز الخبز البلدي والآخر للعيش الشامي، أما الفاكهة والخضار والفراخ والأسماك والعطارة والجملة فأغلب محلاتهم على جانبي شارع التحرير ويقال أن اسمه جاء من سينما التحرير التي كانت تتصدر أول الشارع

منذ سنوات بعيدة ولايدري أحد لماذا تم إغلاقها وانطفئت الأضواء وسكتت الأصوات بالمكان وهو عبارة عن مبنى كبير بابه مكون من ضلفتين وعلي جانب منه اثنتان من النوافذ المستطيلة مشدود عليها سلك سميك فتحاته ضيقة مكسوة بلون الصدأ ويتصدر أعلاه لافتة كبيرة عليها كلمات بحروف معدنية مجسمة وبارزة، سقط أغلبها وما تبقى منها مازال يحتفظ ببعض اللمعة تظهر في ضوء النهار تحت أشعة الشمس وها هو قد تحول إلى تلة يتراكم على جوانبها التراب ويستقر فوق سطحها ما أتت به الرياح من بقايا خيوط وأوراق ممزقة وأكياس بلاستيكية متناثرة في الهواء، لو يحظى أهل المدينة وكل مايجاورها وخاصة الأجيال الصاعدة بإعادة فتح سينما التحرير وإصلاحها وتجهيزها ومن ثم عرض أحدث الأفلام السينمائية العالمية والعربية والهندية على شاشتها.

4

في المساء خرج موهوب للقاء فاروق على قهوة نجم قاطعًا المسافة من شارعهم إلى هناك وهو يتأمل المارة والأبنية باسماً وصدره منشرح يود لو

يعانق نسمات الهواء يسارع الخطى ولولا الزحام لتوقف مرات يلقي التحية أو يصافح كل من يقابله كعادته في شارعهم وما يجاوره وما أن لمحه فاروق حتى هب ضاحكًا في مكانه متقدماً خطوات وتعانق الاثنان بحرارة وود كبيرين وجلسا قبالة بعضهما ليبدأ نهر الحديث يجري ويتفرع وعلامات التعجب تعلو جبين موهوب كلما استرسل فاروق بالحكي تغلبه الجدية تارة ويركن إلى البطء ويتوقف تماماً تارة آخرى، تنوب فيها عن الكلام نظرات متبادلة تعكس مشاعر مختلطة تتراوح بين الذهول والدهشة والاستنكار والتأثر، وكان أبرزها اطلاعه علي مسائل خاصة تتعلق بشؤون حياته وكيف تفرق هو وإخوته بعد وفاة أمه التي لحقت بأبيه بعد عام ونصف العام ومدى صدمته وحجم ألمه وفشله في محاولات لم الشمل خاصة وأنه هو الأخ الأكبر لإخوته قائلًا: كنت أنام ليال كثيرة على تساؤل تكفل بطرد النوم من عيني وهو: لما تبّدل إخوتي بهذا الشكل معيّ؟

ليرد موهوب وقد ملأته الحيرة والشفقة عليه ولكنه تظاهر بعكس ذلك وعمد إلى أن يقول له ما يخففه به عنه ويقلل من أثر ما جرى قائلا: هذه مرحلة طارئة في علاقتكم بعضكم ببعض وستنتهي وستعود أفضل من ذي قبل وأنه ربما هناك ظروفًا ما وضغوط دفعتهم يتصرفوا بهذا الشكل، فتنهد فاروق وأدار وجهه الناحية الأخرى وهو يقول علي استحياء: أى ظروف ياصديقي تدفع أخي لتهديدي بالضرب؟! لم يبتلع دهشته وأشار على الفور لعامل القهوة وترك له ورقة من فئة المائة جنيه وقام مصطحبًا فاروق وسارا لمسافة صامتين وملامح وجههما اكتسبت شيئا من الوداعة والسلام ربما ذهب خاطر الاثنان لنقطة التقاء محببة لنفسيهما والشعور بالمسؤولية كلُ تجاه الآخر؛ جعلت الرابطة التي بينهما تتداخل وتتعانق وتتشابك بقوة، الصداقة الحقة ترتفع لتصبح فى مقام صلة الدم وأحيانا تتجاوزها لتعلوها، ليس من السهل على رجل أن يبوح بأنه تعرض لتلك المهانة ويكشفها بكل أريحية إلا على من كان قريبًا من وجدانه فلا يخشى على هيبته أمامه إلا إذا كان صديقًا حقيقيًا

موهوب: تقريبا كده يا فاروق بعد وفاة الأب والأم بتوصلهم صلة الأخوة ببعض!

أنا وإخوتي لم نستعيد صفاء نفوسنا بسهولة, بذلت جهدًا كبيرًا ومحاولات ياما علشان ترجع زي الأول.

فاروق: ورجعت؟

موهوب: مش زي الأول .. بس ..

فاروق مقاطعًا: يابختك... بس انتو معملتوش في بعض زينا ياموهوب...

موهوب: يمكن عشان عمك حسين مسبلناش حاجة نتخانق عليها!

وتبادلا نظرات ممتزجة بالتأييد والتعجب وغرقوا فى نوبة من الضحك.

فاروق: الغربة علمتك البلاغة يابشمهندس.

موهوب: بلاغة! دي علمتني القداسة كمان.

فاروق: آه ده الكلام خدنا... احكيلي...

موهوب: طب تعالى نشرب عصير قصب من عند شحتة أبو ريمون وللا أقولك نخش على فتوح ونطلب سمين وكبدة وأوعى بقى من الشطة والتحابيش إياها.

فيضحك فاروق مقهقًا وهو يتأمله بود لقدرته على استبدال مزاجه المتعكر بآخر صافٍ ورائق أوامتنان بما لايزال يحمله من ود وحنين للأماكن التي كانا يترددا عليها في مرحلة كانت منغصات الحياة حينها لاتختبر إلا الكبار مؤجلة دور الصغار ليحيوا سنوات لم يمتد شيء بعد ليهدد سلامهم وآمنهم النفسي، تزهو فيه النفوس والقلوب بأوج صفائها وعافيتها وبذلك الإقبال الصارخ العنفواني على الحياة وبأهلها وطيورها وسمائها وكل مافيها وأما عن هذه المحال فطرأ عليها تغيرات ملحوظة في واجهاتها الخارجية و نوع النشاط الذى حلّ بدلا منها أنشطة أخرى مغايرة تمامًا لما كانت عليه قبل سنوات وربما الباقى الوحيد علي حاله فهو فرن أبو زهرة والمخبوزات والمعجنات والفطائر الشهية التي تجتذب المارة بروائحها عن بعد ويبلغ الأمر منتهاه في المهرجان المتجدد سنويًا بمجرد

بدء العشرة أيام الأخيرة من شهر الصيام استعدادًا لعمل الكحك والبوتيفور وبسكويت العيد معلنة رائحة الفانيليا وخميرة الخبز والمنكهات المضافة برائحة الموز أو البرتقال والزبد السائح والزيوت غير هيئة السمسم المتأثر بلسعة من حرارة الفرن وطبقات الشيكولاته المذابة ومختلف الحشوات عن حجم ما يجرى بداخل الفرن وإن صادف ومر أحدنا من هناك قبل موعد انطلاق مدفع الإفطار لتعجل رفع الأذان ليوقف سيل لعابه المرهق بقضم قطعة وافية من كل نوع سواء الخارجة من الفرن في صيجانها أو من تلك المتراصة بحرفية في فترينات العرض بواجهة المحل المضاء بنور النهار وفي المساء تتردد أغاني رمضان مع أفرع إنارة شديدة البياض غير تلك التي تنطفيء وتضوي بألوان قوس قزح منبعثة من فانوس ضخم يستقر جانباً يحلو للأطفال الذين تصطحبهم أمهاتهم معهم إلى الفرن أو من المارين الوقوف أمامه وتأمل التفاصيل في وداعة وفضول ليردد بعضهم كلمات الأغاني، أما محل سندوتشات الكبدة لصاحبه فتوح فتحول إلى محل كشرى مؤلف من طابقين يلقي رواجًا مضاعفًا عن سابقه رغم أن فتوح كان خبيرًا في جذب زبائنه بطريقة

طهيه للكبدة وسر خلطة التوابل والمقبلات التي كان يقدمها مع الوجبات وجانب منها مع السندوتشات ومما عرف عن المحل من نظافة وأثاث بسيط ومريح متوفر بعدد ليس بالكثير ولا القليل ولكنه كان يستوعب قاصديه وكان يرتدي جلبابًا ناصع البياض ومن فوقه مريلة زرقاء تخفي كرشاً هائلًا ليتدلى لغد فتوح صاحب الوجه السمح الممتلئ المشرب بحمرة خفيفة كلما قهقه وهو يضاحك زبون ويهتز قليلًا وهو مستغرق بالدندنة أثناء إعداد الكبدة، وأما محل أبو ريمون فصار لبيع الموبايلات يديره أصغر أبناء العم شحتة الشهير بأبو ريمون صاحب أشهر محل يقدم عصير القصب المنعش مقصد غالبية من يمرون بالشارع فكان طوال الوقت في حالة ازدحام بالرغم من أن هناك اثنان غيره واحدًا في أخره والثاني بناصيته يطل على الشارع العمومي قبالة المسجد الكبير الذي يحمل اسم صاحبه الشيخ عواض ومن هنا جاءت تسمية الشارع وشهرته ذائعة الصيت فما من أحد يقصد مدينة قليوب إلا ويعرف هذا الشارع الحيوي العتيق الذى لا تكاد تسير فيه حتى يرافقك شعور بالدفء والأمان رغم التدفق المستمر للناس وحركة محدودة لمختلف وسائل المواصلات

التي تعبر الشارع بكل ساعات اليوم لكثرة ما يشتهر به الشارع من محلات بيع الذهب والعطور والملابس والتحف والحلويات ومعارض الأثاث والسجاد والأجهزة الكهربائية وفوق كل هذا عدد من أبراج تضم عيادات طبية ومكاتب محامين ومحلات كوافير، علي الجانبين أكثر من صيدلية ومقهى ومطاعم و تنعطف منه شوارع آخرى لها من أجوائه، وبها محالات مشابهة للموجودة به، وعلي امتداد الشارع بمسافات علي نحو متكرر تتداخل رائحة العطور والفاكهة مع المشويات، وسط أصوات المارة وصدى الأغاني المنبعثة من بعض السيارات والمحلات، في مواجهة المسجد بأول الشارع بأقصى اليسار هناك شريط ضيق يثير بمساحته المحدودة الفضول والغموض معًا ليس لأنه يبدو بلا وظيفة تذكر فبضع سيارات أجرة متوقفة به يجلس صاحب كل واحدة منها بانتظار قادم قد لايأتي حتى أن المارة لا يمرون من تلك الحارة مفضلين عليها الحارة الكبرى الموازية لها من ناحية المسجد، يشبه السائقون صيادي السمك لطول صبرهم حتى يظهر من يطلب منهم التوجه به إلى كفر بناحية بعيدة أومدينة تنتمي لمحافظة أخرى فسيارات الأجرة ماركة

البيجو كانت المفضلة علي نطاق واسع في تنقل الأشخاص إلى المسافات البعيدة، وهي تتسع لعدد من الركاب كما وأن سطحها قابل لحمل كميات متوسطة من مختلف الأمتعة والمتعلقات والأغراض.

إلا أن البيجو غالبا ماكانت تلائم الاستعمال الشخصي في تنقل صاحبها منفردًا أوبصحبة أخرين، قلما نجده حاليا، وجوده واستعماله قليل ، ويبقي أشهر بيجو هو الذى ظهر به الفنان محمود ياسين بطل فيلم أفواه وأرانب فتى الشاشة بفترة السبعينات يستقل سيارة ماركة بيجو بيضاء اللون يتنقل بها طوال أحداث الفيلم الشيق والذي شاركته البطولة سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة، عدت سقطة كبيرة لأنه– حسب القصة– كان من أصحاب الأملاك، ويحمل لقب بيه، وغطت الجماليات المحتشدة بتفاصيله على هذا السهو والذي توقف عنده مشاهدون من عشاق فن السينما ونجومها وستظل تلك الأيقونة الفنية يقبل على مشاهدتها الأجيال هي وبقية الأعمال السينمائية الكلاسيكية كتحف نادرة باذخة الجمال ،فائقة الروعة.

وتعدد ظهور محمود بيه بالبيجو بعدد من المشاهد ليتكرر السؤال لما هذا ؟! أول مرة عندما توقف به أمام مزرعة العنب الخاصة به فنراه يترجل خارجًا من البيجو فيجد هو نعمة تبكي وتندب حظها أمام البوابة الخارجية بعدما طردها الخولى من العمل ليأتي ردها المفجر للضحك قائلة له: خليك في حالك يا أخينا حينما هاله أمرها وهيئتها فسألها: بتعيطى ليه؟! ثم بظهور آخر عندما تعقدت الأحداث وقفز سبب للافتراق ليتمزق شمل الحبيبين بسبب خلاف أو تغليب للمصلحة أولسوء فهم غير مقصود يعتم الرؤية ويقطع خط العودة مثلما يحدث ويتكرر بكل قصص الحب واقعًا أوتمثيلًا ويأتي آخر ظهور للبيجو وهو يتهادى في قلب المدينة بأحد شوارع القاهرة العريقة لنجد البطلة والأفواه التسعة أولاد أختها جمالات والتي أدته باقتدار الفنانة رجاء حسين المرأة بسيطة الحال كثيرة العيال و جميعهم مشدوهون ترصد أعينهم في ذهول الأعداد الهائلة للمارة بمختلف أعمارهم، يلازم رحلتهم داخل البيجو الأبيض في ذلك المشهد الختامي صوت عذب وكلمات تختزل فكرة الفيلم عن الإنجاب بكثرة في وقت تضاعف على مايبدو عددنا بشكل ملحوظ حتى وصف

بالانفجار السكاني والغنوة للمطربة الشعبية الكبيرة فاطمة عيد وهى صاحبة عدد كبير من أغاني المناسبات خاصة الأفراح وهى تشدو كبلبل عذب رائق الصوت تنثر الكلمات بذور التفاؤل ومقدمات البهجة: وتوتة ..توتة ..توتة

ولاتخلص الحدوته .. دي  بتبدأ من جديد

مدام في كل جانب .. أفواه على أرانب

بياكلوا من الحديد

لكن لو خليناهم .. يبنوا الحياة معاهم

يومها نستفيد

وهيبقى بكرة أجمل .. وبعده وبعده أجمل

والخير فى كل ايد

وتوتة توتة  .. توتة.. ولا تخلص الحدوتة.

5

ورغم أنه لم يكن مصريًا إلا أنه استحوذ على مكانة عظيمة من قلوب المصريين ونفوسهم ولايتوقف هذا على علو قدر المحبوب فقط وإنما لنقاء سجية وعراقة أصل ومعدن أهل مصر؛ فالشيخ عواض بن محمد بن إسحاق الطهلموسي وُلد أواخر النصف الثاني من القرن التاسع الهجري فى المغرب ويرجع نسبه إلي الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، وقد أتم حفظ القرآن كاملًا في صغره والتحق بالمدرسة العظمي التي أنشأها السلطان أبو سعيد المريني وتخرج من جامعة القرويين بمدينة فاس وبعدما عاد من رحلة الحج قرر زيارة مصر ومكث في مدينة الأسكندرية مدة عامين عرف خلالهما شخصيات من أتباع الطريقة الشاذلية الصوفية وتأثر بهم وكان يتردد على معهد ديني بالإسكندرية ويفضل قضاء ليلة الجمعة بمسجد المرسي أبي العباس، وسافر إلي الحجاز وبقي هناك عشر سنوات ليرجع من جديد إلى القاهرة في عهد السلطان الأشرف برسباي الذى عرف عهده بالجهاد ضد الصليبين

واختار الاستقرار في مدينة قليوب في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري واختاره السلطان قايتباي لتولي القضاء بها بجانب إمامة المسجد الجامع بقليوب وعرف الشيخ بالورع والتقوى والتواضع وكثرة الانقطاع للعبادة فأحبه كل من عرفه وقدروا شخصه حتي زعم بعض مريديه أنه من أصحاب الخطوة أى أنه عندما كان يسير في الشارع كانت الأرض تطوى تحت قدميه وربما لهذا السبب أقام له بعد وفاته في عام 878 هجرية أحد شيوخ قبيلة الشواربية المنتشرة في محافظة القليوبية مقامًا في الغرفة التي كان يتعبد بها ويسكنها في مدينة قليوب.

ولم يتوقف الأمر على الاحتفاء بذكرى أحد العارفين بالله والصالحين ممن عاشوا فى زمن مضى هنا ليتحول الأمر إلى ماهو أبعد فيتوجه السذج والجهلاء إلى مقام الشيخ لطلب أشياء لا يقدر على منحها لنفسه وقت كان يسير بين الناس ولكن الهوى يهيء لأصحابه ما يشاء وهناك احتفال سنوي في مثل يوم ميلاد الشيخ عواض يقام حول مسجده يحضره أعداد كبيرة من محبي سيرته والمتصوفة والقائمين على مسجده كالخطيب

ومعاونيه ورعاة أعمال المسجد كما لا يخلو من الدراويش والمجاذيب أيضا وهؤلاء موجودون في مختلف الأديان السماوية والعقائد والفلسفات الوضعية المنبثقة في أصلها عن أديان سماوية تفككت وحدتها تحت سطوة الزمن وتباعد المسافات قديماً بين معتنقيها فكل ما يدركه وعي البشر لا يلقى بالترحيب المرجو وغالبا ما تداخله الأهواء فيواجه بالإنكار والرفض أو التشويه عمدًا أو بدون قصد!

# (الفصل الثاني)

ثلاثة أشهر على عودة موهوب من السفر ورغم أهمية المسألة بالنسبة له و إلحاح خالته إلا أنه كان منشغلاً بشراء شقة وتأجير أخرى لتحويلها لمكتب هندسي وبالفعل نجح في توفير الاثنين كل واحدة في برج ملاصق للثاني يطلان على شارعين أحدهما العمومي والثاني متفرع منه بأوسطه السجل المدني الجديد وقسم شرطة قليوب البلد وفي أوله المدرسة الثانوية التجارية بنات لفترة الصباح والبنين بالفترة المسائية وعلى بعد أمتار توجد الثانوية الفنية بنين، كان قبل سنوات تمتد للثلاثين عاماً مصرفًا ضخمًا شكله مخيف ليلاً وبشعاً نهاراً تتشابك على حوافه عيدان نبات البوص متراوحة الطول ويغطي سطحه الواسع طبقات سميكة قاتمة بلون التراب المختلط بلون ريم الترع الأخضر المزرق أسفلها كميات مهولة من كافة أنواع المخلفات والفضلات والمهملات

كانت تقام على جانب منه سوق الاثنين الشهير الخاص بمدينة قليوب والذى يتدفق إليه الباعة من أصحاب الأنشطة المتنوعة والمختلفة ليعرضوا أشياءهم وبضاعتهم في هذا اليوم من كل أسبوع ومع تمدد

واتساع مظاهر العمران والتطوير تم ردم هذا المستنقع الآسن لترتفع مكانه أبراج عالية متجاورة صممت على الطراز الحديث لها واجهات زجاجية براقة بنية وأخرى زرقاء وألوان طلاء متداخلة ومتناسقة و أصبح شارع الساحة يمتلئ ليلاً نهاراً بالأنوار والأنفاس والونس.

صوت العصافير ينبعث مع أول رنة لجرس الباب فتهرول فوزية لتفتح وهي تضبط سلسلتها الذهبية الكبيرة وتثبتها أعلى صدرها وتزيح طرف الطرحة التي تكشف عن خصلات متساوية الطول من شعرها المصبوغ باللون الأحمر القاني مرتدية عباءة مطرزة بخيوط فضية ليست بالفضفاضة ولا بالضيقة ولكنها تفصح عن مظاهر أنثوية واضحة بالرغم من تخطيها الخامسة والخمسين من عمرها فمن صباها وهى تمتلك قواماً متناسقاً مع قامة متوسطة وملامح وجه جذابة وروحاً مرحة وفطنة ولباقة وقدر بسيط من التعليم؛ فهي حاصلة علي دبلوم التجارة أما أختها والدة موهوب كانت ممتلئة القوام, قصيرة القامة، وملامح وجه سّمحة وبشرتها بيضاء وصوت ناعم ودافئ يفيض رقة وحنانًا، وقد حصلت

على الثانوية العامة ولم تكمل تعليمها لذا أصرت رغم قسوة الظروف المعيشية على أن تدفع بأولادها ليتلقوا تعليماً جامعياً فأصغرهم صار مهندساً، سخرت فوزية من موافقة أختها على قبول الزواج من حسين أبو السعود موظف التأمينات لبساطة حاله فيما رفضت هي كل من تقدموا لخطبتها ووافقت على عبدالفتاح محمد فخري ابن صاحب محلات فخري للحلويات وتاجر الأراضي المعروف وعزمها النية علي الزواج برجل ميسور الحال جاء من أن أبيها كان عاملاً بسيطًا بمصنع الغزل والنسيج في شبرا الخيمة والذى تم إغلاقه في منتصف التسعينات والتي شهدت فترة الإجهاز علي القطاع العام حتي تصفيته بنسبة خمسة وسبعين بالمئة من شركاته ومصانعه لتباع بأثمان بخسة يقل ثمن بعضها عن عشر سعر الأرض المقام عليها المصنع، يستقر الفرق بجيوب سماسرة تخصصوا في المتاجرة بقوت شرائح عريضة من الشعب وترتب علي إغلاق مصنع غزل ونسيج شبرا تسريح العاملين رغم استيعابه لأعدادٍ كبيرةٍ لديهم بيوتهم ومتطلبات واحتياجات ذويهم، ولم يكن الوحيد الذى تم بيعه فهو واحد من عشرات المصانع والشركات التي شرد جميع

عمالها بعدما أوصدت الأبواب في وجوهم واضطربت أحوال من كانوا يعتمدون على الأجر المتحصل منها في معيشتهم كمصدر وحيد للدخل ليلقى الآلاف مصيراً مجهولاً ومرعباً هم وأسرهم وخرج والدها من عمله مثل آخرين بماسمي وقتها بالمعاش المبكر ليتدبر به مسؤولية أسرته بصعوبة بالغة, وتزوجت فوزية بعد بضع سنوات من زواج أختها وفق شروطها التي لم تقبل أن تناقشها تحية فيها ولو مزاحاً ليلة تقدم عبدالفتاح طالباً يدها للزواج.

تحية: اشمعنى ده بقي؟ ده انتِ اتقدم لك عشرتلاف عريس

فوزية : عاجبني

فتقهقه تحية غير مصدقة لما سمعت

– ده أقصر مني

–لأ .. طولك

– مستغربة لك .. إيه فرحتك دى كلها ..ده ناقص تخلي بابا يروح يبلغه ردك النهاردة

– ياريت ... و تضحك بميوعة

– طب ماتلبسي وروحي بلغيه بنفسك قبل ما يقفلوا المحل !

فترد عليها غير مبالية بما تقول مقللة مما تقصد

– وإيه يعني؟ فيها إيه؟

– عشان فلوسه؟ فلوس الحلويات! تضحك وهي تحاول استفزازها بلا اهتمام بما سمعت وترفع أكتافها هازئة

– أهو أحسن من عيشة الموظفين

فاحمرت أوداجها ونظرت لها عاتبة وامتلأت بالدموع عينها وتراجعت خجلة وهمت بالاعتذار ولكن تحية لم تعطها الفرصة وخرجت من الغرفة وأغلقت خلفها الباب وكانت المرة الأخيرة التي يفصل بين حياتهم باب؛

حيث اشترطت على العريس أن يأخذ لهم الشقة المقابلة لشقة أختها ليبقوا معاً وبالفعل عاشت الأختان في منزل واحد, مسافة خمس أمتار بين الشقتين وباب فوزية مفتوح لأولاد أختها الثلاثة ولم تنجب أبدًا طيلة عمر زواجها دون أن يعرف أحد أيا من الزوجين لاينجب؟

ترتب فوزية على مايبدو مفاجأة لموهوب وتفتح الباب لتظهر أم رحمة وخلفها تقف ابنتها تفرك في كفيها وتدخلا وسط زفة من كلمات الترحيب والحفاوة وتجلس فوزية قبالة رحمة تتأملها بود وفضول معاً متفحصة قوامها بطرف عينيها والأم تراقب وهى تتمتم بكلمات غير مسموعة ونظرها لأعلى كأنما تدعو بإتمام الزيجة، فرحمة مثل بنات كثيرات تُخطب وتُفك الخطبة لأسباب غير معلنة أو واضحة هذا حسب وجهة نظر أمها التي فكرت على استحياء في أن تذهب لحد من اللى بيعرفوا! ليفك لها العطل وتتزوج وتنجب ويكون لها بيت مثل من تزوجوا من الأقارب

فتاة لم تتعد الثانية والعشرين، بيضاء، ثيابها تستغيث من فرط الضيق وثدياها المكوران النافران محل تقدير من موهوب يحيطهما بنظراته طوال الجلسة التي امتدت لنحو الساعة نصفها جلس موهوب صامتاً متبسماً لايدرى كيف يتصرف أو بما يتحدث فيما تولت فوزية إدارة اللقاء وعينها على موهوب الجالس بجوارها قبالة رحمة تستنطقه بلافائدة فتوجهت إلى رحمة بطرح الأسئلة عن مؤهلها وعن أحب الألوان وأصناف الأكل التي تستطيع طبخها وكم عدد أخواتها وهل تريد أن تعمل أم تفضل البقاء في البيت بعدما تتزوج فابتسمت رحمة وظلت ترد برقة وتتوتر كلما تلاقت عينها وعينه والأم تراقبهما متبسمة مستبشرة كلما تكرر الأمر تبادلها فوزية هي الأخري نفس الشعور، أما موهوب فيحاول التعقيب على ردودها بكلمات لا تبارح شفتيه فيبتسم بلطف مصطنع والبنت مسترسلة في الكلام مع الخالة ..

شارع نادي باريس ظهراً

أشعة الشمس الهادرة بسخاء كعادتها تغمر أرجاء المكان بهذا الوقت لتلغي أي معنى أو حاجة لعدد المصابيح بمختلف أحجامها وأنواعها المضاءة بطول وامتداد الشارع بجانبيه عند أول الغروب وحتي طلوع الفجر , أبواب أغلب المحلات الزجاجية تكشف عن حركة العمل بالداخل فيما ينشغل بعض أصحاب المحال الأخرى بإخراج ماأعتادوا عرضه أمام واجهات محلاتهم، يغلب الهدوء على الشارع رغم امتداده واتساع مساحته, تتقدم امرأة ممتلئة القوام باعتدال أو أكثر لارتدائها ملابس فضفاضة, متوسطة الطول بيضاء البشرة لم تبلغ الأربعين عاماً بعد, ملامح وجهها المتجهمة الآن تخفي أنوثة متقدة ما بين جبهتها وأول ذقنها, عيونها عسلية اللون لها بريق نافذ يلقي سهامه إلى الصدور, وجنتها عالية بمحازة أنف شامخ بين خدين موردين تتوسطهم شفاه بلون البرقوق الناضج , ترتدى فستانًا مطرزًا أزرق اللون وطرحة شيفون بيضاء واكسسورات ذهبية متنوعة في إصبعيها ومعصمها وساعة ضخمة ذهبية بيدها اليسرى، فهي تعد من قلة قليلة بسبب الغلاء المتلاحق في سعره توشك على الاندثار مازلت النسوة يحملن التقدير العملي للذهب وارتدائه

بكثرة وبكميات وما المانع وهى ابنة تاجر أراضٍ وعقارات معروف بالمنطقة وقد ورثت عنه مع أخواتها البنات ثروة كبيرة استثمرت نصيبها في ممتلكات مشتركة فيما بينهن تدر عليهن عوائد شهرية منتظمة أما معرض الأجهزة الذى تديره حاليا بمساعدة آخرين فهو كل ماتركه لها زوجها الذى رحل منذ سبع سنوات تاركاً لها المحل وشقة كبيرة ومسؤولية ولدين هما ابناها منه ورغم جمالها إلا أنها لم تتزوج ولكنها تخفي رغبتها تحرجاً من ابناها وأقارب زوجها الراحل وآخرين!

وتدخل لطيفة مسرعة إلى عمق المكان بضع خطوات ومباشرة تتمدد على الشازلونج القطيفة واضعة ذراعها على جبهتها وطرف الكُم يغطى باقي وجهها تلحق بها فيروز (فتاة في أواخر العشرينات، بيضاء، طويلة، عيونها عسلية ضيقة وحاجباها كثيفان وقصيران, بأعلى خدها الأيمن شامة صغيرة، طويلة، رشيقة قوامها متناسق لديها مؤخرة عريضة بارزة قليلا وأرداف متوسطة الاستدارة، ثدياها متوسطا الحجم، رقيقة ودودة )

تتقدم نحو لطيفة وهى ممسكة بمج النسكافيه لتتركه بجوار ماكينة الخياطة، ورغم فارق العمر بينهما إلا أن صداقتهما راسخة منذ أول يوم دخلت فيه لطيفة أتيليه فيروز وكانت بعد لم يعرفها أحد بالمكان لتكون لطيفة أول زبون يتعامل معها لتبدأ من دردشتهم الودية أثناء ماكانت فيروز تضبط لها جاكيت تريد أن تقصره قليلاً وتضيف له لمسة جمالية وبالفعل تم ما أرادت وعند دفع الأجرة رفضت فيروز أن تخبرها كم تدفع لتضع لها لطيفة ضعف الأجرة وغادرتها فتلحق بها فيروز وتعاتبها بشدة مستشعرة أنها تثمن بالمال مساحة الارتياح التي تحققت أثناء الحديث وتطور الكلام في مسألة الأجرة إلى مشادة كلامية شهدها بعض المارة فلطيفة تريد أن تعطيها لقاء عملها وفيروز ترفض وبشدة ومن يومها بات أتيليه فيروز وصاحبته قبلة الراحة والأمان وبالنسبة لفيروز فهي تعتبر لطيفة أختها الكبرى وصديقتها الوحيدة، وتتقدم ناحيتها مباشرة ، تسألها بنبرة تخمين أقرب للجزم :

-مالك؟

–منمتش كويس بقي!

– و مزاجي زفت

– ليه بس حصل إيه تانى؟

– تعبت يا فيروز تعبت وزهقت

وترفع ذراعها وتبتلع ريقها بغصة وتقول بنفاد صبر

– معرفش الناس بتستفيد إيه من المنهادة والمناكفة واللف والدوران

– مفيش لف ودوران ولاحاجة .. إديله بس فرصة يالولو

وما أن تسمع ما قالته فيروز حتى تهب منتفضة في استياء وتضبط ثيابها بلا رغبة وتقبض على حقيبة يدها بقوة وتقطع المسافة إلى الباب هرولة وتفتح الباب وتغادر المكان دون أن تنظر ناحية فيروز وهى مستاءة فيما تنظر عليها فيروز وهي تكتم حيرتها وتأثرها

أما لطيفة فتقطع المسافة إلي محلها الذى يقع بمنتصف الشارع يفصل بينه وبين الأتيليه الخاص بفيروز عدد من المحلات

فيروز تحاول الاتصال بلطيفة ولكن لايوجد رد فتضع تلفونها جانباً بهدوء وتشرد لبرهة وتنتبه للفوضى من حولها فتبدأ في إعادة ترتيب الأتيليه قبل قدوم الزبائن من بقايا الأقمشة المقصوصة ومجات وأكواب المشروبات وزجاجات المياه المعدنية ولفافات الشرائط وأساتيك الأكمام وبكرات الخيط الملونة, وبدأت بحمل أكياس كبيرة بها الأقمشة التي جلبتها أمس حسب طلب وتوصيات زبائنها ومن ذات المكان الذى اعتادت جدتها شراء الأقمشة منه بامتداد فترة عملها كخياطة منذ كانت بعمر فيروز وأصغر، كريمة كانت خياطة ماهرة ومعروفة في المنطقة كلها ويقصدنها السيدات والبنات لحياكة ملابسهن قبل تغير الوضع بعد انتشار مصانع الملابس على نطاق واسع والترويج لضرورة ارتداء الماركات لزوم اكتمال الوجاهة الاجتماعيةوأيضا لتفوق التصاميم والمقاسات المظبوطة ونوع بعض الأقمشة الغير متاحة في متاجر بيع

الأقمشة، ولازال البعض يفضل الملابس التفصيل بجانب الجاهزة التي لايستغني أحد عنها بحال، ومن بين ما تعلمته بفضل خبرتها الطويلة عرّفت فيروز أماكن بيع الأقمشة بأفضل سعر وجودة مثل ممر الكونتينتال بوسط البلد وسوق الجملة بالعتبة وسوق المائة بمصر الجديدة و منطقة الحمزاوي بالموسكي وبازارات ومحلات بسوق العبور وأسواق وكالة البلح أما التربيعة بمنطقة الغورية فهي أكثر مكان كانت تفضله على بقية الأماكن والأسواق للحصول على ما تريد، وتقصدها العرائس منذ زمن طويل لشراء لوازمهم من المفروشات والأقمشة ويزداد الإقبال في مواسم المدراس والأعياد مثل الكُريشة والجبردين والأصواف والأقطان والنايلون والحرير والدانتيل والساتان واللينواه والأقمشة الصيفي والشتوي وللمناسبات والافراح قشر السمك والجوبير والتُلّوالكريب والشيفون وأنواع من الأقمشة الهندي والكوري.

والتربيعة جزء من أشهر الأحياء الأثرية القديمة ضمن أكبر متحف إسلامي مفتوح أسسه السلطان الغوري قبل خمسة قرون، التربيعية تقع

أسفل مسجد السلطان الأشرف أبو النصر قنصوه الغوري وهو آخر سلطان مملوكي ومن بعده انتهت دولة المماليك تماماً ويذكر أنه تولى السلطنة رغماً عنه ليظل بالحكم لمدة خمسة عشر عاماً وموقفه كان على عكس غالبية المماليك الشراكسة وصراعاتهم الدامية فيما بينهم بهدف الوصول لكرسي الحكم، كان يمتلك حاسة شعرية رفيعة، ينظم الشعر ويحب مجالس أهل العلم والأدب، شغوفاً باقتناء التحف واهتم بالعمارة وتشييد المباني على الطراز الإسلامي من حيث النقوش والزخارف والمنمنمات وهذا ما تميزت به تلك المرحلة والتي تركت لنا إرثاً معمارياً رفيعاً لازال شامخاً إلى وقتنا الحاضر، ولقي الغوري نهاية أليمة فقد دهسته الخيول في معركته مع العثمانيين ولم يعثر على جثمانه وتأثر المصريين لما لحق بالرجل الذى خرج ليدافع عنهم ضد دخيل جديد إلى أراضيهم وذلك حسب ماذكر عدد من المؤرخين، وأول بدء التربيعة في نشاطها التجاري كان بثلاثينيات القرن الماضي وكان اليهود المقيمون بالمنطقة هم أول من بدأ النشاط ، وكانت محلات الأقمشة وقتها تسمى الميني فاتورة وتعددت المحلات وتضاعف عددها بنفس

المكان إلى أن أصبحت التربيعية عصب مصانع الملابس ووجهة معلومة لكل من يريد شراء الأقمشة، وإلى مايقارب من الثمانين عاماً ظلت المنطقة تحتفظ بشكلها الذي بدأت عليه وإلي يومنا هذا ولم يتبدل فيها أي شيء

وضعت فيروز كل الأقمشة في الغرفة الكبيرة المخصصة للقص تجاورها غرفة عمل البروفات يتصدر جانب منها بوستر كبير يحمل صور مجمعة لعارضات أزياء عالميات يرتدين فساتين وتايرات وجونلات وبلوزات وجانب آخر يبدو كمرآة بعرض الغرفة وتخرج فيروز لتدخِل الكيس الثاني لتجد تلفونها يرن فتترك الكيس وترد وهى تبتسم في ود كأنها تعلم من المتصل

يتوقف شاب بأول الثلاثينات, أسمر طويل القامة، قوامه رياضي, مهندم, شعره الأسود الناعم الكثيف يلمع تحت أشعة الشمس ينظر في ساعة يده ثم يعاود النظر إلى جانب من الشارع يبدو متوترا وفجأة يبتلع ريقه ويحاول تمالك نفسه ونظره مثبت يميناً ثم يتوارى خلف سيارته المتوقفة

ويجعل ظهره للشارع ووجهه إلى أحد المحلات، يفرك كفيه بضيق وعنف وهو يسترجع خواطر في نفسه وأثناءها يبتسم ويعاود الالتفات إلى خلفه في الاتجاه المقابل، تتسع حدقتا عينيه ويتنهد بلهفة ويبتلع ريقه مبتسماً و يوميء برأسه لأسفل قليلا وهو يكتم ضحكة ثم أمامه، ويظل هكذا لدقيقتين غير مبالٍ للمارة الذين يقطعون الشارع يحجبون الرؤية ولكن لطيفة ما إن وصلت دلفت إلى الداخل ولم تخرج، بينما أحمد بالخارج ينتظر!

في نفس الموعد من كل يوم أحد وعلى امتداد ثلاث سنوات هي عمر خطوبتهم الغير معلنة يصطحب رؤوف ابنة خالته إلى أقرب مطعم ليتناولوا طعام الغداء معاً وبعدها يدخلا محلا لبيع الأيس كريم الذي تحبه شروق بشدة وتلتهمه صيفًا وشتاءً بكل الأنواع والمذاقات على أن يهديها وردة تظل تتشمم شذاها حتى توشك أن تذبل بين أصابعها قبل أن يضعها رؤوف بيده بين خصلات شعرها وهو يميل بشفتيه على خديها وشفتيها ورقبتها التي يتوقف بفمه عليها تتلاحق أنفاسه وهو يدغدغها

واصلاً لمقدمة ثدييها العصيان على إخفاء معالمها تحت بلوزتها الهفهافة لترسو يده اليسرى في طريقها و تستقر أعلي ردفها الأيمن، ينطلق كفه يتحسس ويفرك ولما يضغط على شفتيها بنهم وقوة تصرخ بغنج وتسحب نفسها منه وهي تتمايل بدلال وتجرى ناحية السلم وهى تضبط شعرها وملابسها وتصعد أولى درجات السلم فيما يتوقف مكانه يتأملها بظمأ يبتلع ريقه في نشوة وتلتفت وهي متوقفة في مكانها وتتلاقى العيون العامرة بكل معاني الحب والرغبة والفرح، يتنهدان وكأنما حرارة أنفاسهما ترخي على المكان عطراً نادرًا لايعرفه سوى العشاق

"الليل في شارع سيدى عواض"

يستعيد الشارع هدوءه تدريجياً فور تدخل المارة وأصحاب المحلات لإنهاء المشاجرة الحامية بين سائق التوكتوك وصاحب سيارة جيب حديثة كانت تعبر الشارع الرئيسي بحذر وبطء خاصة وأن الشارع ضيق نوعاً ما وهو واحد من الشوارع المتفرعة من العمومي وتتوزع بها عدد من المحلات المعروفة ليتفاجأ بالثاني يخرج مسرعاً من شارع جانبي فيصدم

جانب السيارة الأمامي وعند ارتداده للخلف بزاوية تتهشم واجهة محل أمل وهو محل لبيع التحف والزهور الصناعية والتابلوهات، وتخرج أمل مسرعة على الصوت ورأت ما جرى فحملقت بذعر وأوشكت أن تصرخ وسرى الغضب بأوصالها من هول المنظر ومن حولها اشتعلت جلبة وتداخلت أصوات شجار صاحب الجيب مع سائق التوكتوك وأصحاب المحلات، و المارة يحاولون احتواء الموقف بتهدئة الطرفين، البعض يلوم صاحب الجيب لأن الشارع ضيق ولكن تحول شجبهم للشاب الصغير المتهور صاحب التوكتوك الذي يصمم على ضرب صاحب الجيب الذي سبه بأمه فيستميت الحاضرون لمصالحة الطرفين وبالفعل ينجحون بعد مرور مايقرب من نصف ساعة وهم يحاولون ويستعيد الشارع بعدها حالته المعتادة وينصرف كل لمحله ولم ينتبه أحد لما أصاب محل أمل سوى يونس، ربما لأن مصابيح الإضاءة الخارجية الخاصة بالمحل قد انطفئت فما أن لمح ماجرى عندما عاد إلى محله هو الآخر بعدما شارك في إنهاء ماكان فيقترب مصعوقاً ويهرول ناحية المحل ويدخل فيجد أمل

جالسة على كرسيها تندب حظها وهي تولول وسط المحل والدموع محبوسة بعينها، يتنحنح قبل أن تجده قبالتها ويسألها بصوت متهدج

– سلامتك يا أمل.. أنت سليمة؟

ويلتفت بهدوء إلى ألواح الزجاج الساقطة داخل الفاترينة وأطرافها مهشمة ومحتويات العرض مبعثرة، عليها شذرات من الزجاج المكسور وهو يريد أن يوصل إليها رسالة مفادها لايهم حجم الخسائر طالما أنها بخير وربما هو مستعد لتحمل تكاليف إعادة تصليح ما جرى فيما ترد عليه بصوت مخنوق

– خساير من اللي بتحصل كل شوية!

– وإيه يعنى؟ فداكِ

متحمليش هم حاجة، بحماس مفرط استرعى انتباهها

–أنا هصلحه

فانتفضت ووقفت بمكانها وهى تنظر في عين يونس مباشرة والحيرة ترتسم على ملامح وجهها ولسانها تلجمه خواطر تدور بداخلها وتطل من عينيها نظرات الاتهام والاستنكار فارتبك واستدار وغادر على الفور

يستقبل نسمات الليل الباردة وسط سكون يستميل خواطره النائمة لتصحو وهو يطل من بلكونة شقتهم القديمة بعدما قضى أول ساعات الليل عند خالته وزوجها وما إن وجدهما يتثائبان وبعد محاولات منهما لإخفاء الأمر لمدة ساعات السمر تركهم ودخل شقته، يتنهد وعينه ترصد الشارع الخالي من المارة والسيارات وكل مظاهر الحركة وبدأت تتقافز من داخله الأفكار لتتشابك مع الذكريات، يقطع شروده بابتسامة ساخرة وهو يؤمئ برأسه كأنما يقر بأنه هو "المنسي" بطل رائعة وحيد حامد وإن اختلف عنه في أشياء واتفق معه بغيرها, فهو لم يكن يقوم بتعليق صور من يغرم بهن من الفاتنات و المثيرات من مشاهير الفن علي جدران الغرفة الصغيرة المخصصة له لمزاولة عمله بأحد مزلقانات هيئة السكك الحديدية كمحولجي قطارات بالصدفة خلفاً لقريب له فكان يتخيل أنه في

كل ليلة بصحبة واحدة منهن وهكذا كلما خلا بنفسه داخل تلك البقعة المعتمة والنائية المجاورة لشريط القطار، وذات ليلة يجد نفسه وجهاً لوجه أمام إحدى الجميلات فيظن للوهلة الأولي أنه يتوهم ولكنها الحقيقة والأكثر أنها أتت تستنجد به ليخبئها ممن يلاحقونها ويفوز بها هو في النهاية, أما ما يشتركان فيه فهو عشق الجمال والحرمان منه، فطوال سنوات العطش كان موهوب يمسك بيد كل من تلوح له بالشراب ويقضيان الوقت معاً، لايتذكر عدد من شاركوه ذروة الارتواء لدقائق بساحة خياله الفسيحة أولدى بهو عينيه، ونسخها مرتبة بذاكرته لحين الاستدعاء لاحقاً ولطالما ملأ خاطره من الجمال، فأثناء تواجده لشراء ملابس من أحد المولات كعادته كالحمراء مول ومارينا والراية رأى بمول بلازا الكويت بائعة لبنانية جذابة بأحد متاجر بيع لعب الأطفال فوقف قبالتها من خلف الواجهة الزجاجية يتأمل قوامها الرشيق اللين وشعرها الناعم الطويل الأشقر ورقة تعاملها مع الزبائن متظاهراً بأنه يشاهد ألعاب الأطفال المعروضة بالفاترينة بيد أن عينيه تلاحقها إن تحركت وتتوقف إن مالت وما أكثر ما دعي لانحناءة واستدارة ثم حركة هينة بين أرفف

وزوايا المتجر وهى تجلب ما يشير إليه الأطفال بأصابعهم اللينة بصحبة أمهاتهم وآبائهم، ومن فرط إعجابه بها كان يذهب إلى المول خصيصاً لمشاهدة العرض الرائع ولم يحدث أن كلمها أو حاول دخول المتجر مكتفياً بما يحظي به من مباهج وحده يقدرها ويدركها

لم ينسَ باميلا، كان يعتبرها تخصه ثمة ما يربطه بها ليس الرغبة بها ولا ماتمتلكه من جمال ظاهري راسخ وإنما ما استطاعت أن تقيمه بداخله وتغدق به عليه دون غيرها من البنات الجميلات فهي تمتلك شفرة المتعة المغدقة بلا توقف ولا فتور، باميلا كانت تنفرد بما لقلة من النساء على كثرة ما لهن من مظاهر أنثوية واضحة، تستأثر باميلا بجاذبية جنسية قوية تكمن بين أهدابها وتتوزع بالتساوي على بقية جسدها

إن حضر الماء بطلّ التيمم يكررها ضاحكاً كلما وخزه ضميره

إنها لا تسبب العمي ولا ترقق مفاصل الركب ولا الإصابة بالسرطان ولا ينتج عنها طفح جلدي!

إن كنت ستقع في الزنا فالاستمناء لك مسموحبه ومباح وضرورة...

ولو تزوجت فأقلع ولاتفرط بأي حال أو شكل كقاعدة ثابتة لضبط كافة الأمور في التعاطي مع الأشياء وهذا رأي كثيرين من الفقهاء القدامى والمعاصرين

أما عن رأي العلم في إمتاع النفس ذاتياً فهو مفيد لسلامة الأعضاء التناسلية وحيويتها، العضو الذي لا يعمل يضمر وقد يعطب، ومزايا أخرى كصفاء الذهن ودفع التوتر وطرح المخاوف، فممارسة الاستمناء أو العادة السرية يمنح الكثير من المشاعر الإيجابية، أولها الشعور باللذة والمتعة والارتواء وتعزيز القدرة علي الاكتفاء وهذا مهم على كافة الأصعدة ولو بشكل جزئي قابل للتجديد طالما ليس هناك بديل مقبول دينياً ومرضي وجدانيا ونفسياً ومناسب اجتماعياً...

وحسب الدراسات فإن 80% من النساء يقمن بها أما الشباب فبلغت النسبة 99% !

العلم يحلل المسائل ويشرح الأمور ويطرح النظريات ويقدم الحقائق، ومظلة القيم المنبثقة من روح الدين تضمن السلامة فما من منظومة قيمية إلا وتثمن وتأمر بالاستقامة والفضيلة

ونرى كما يرى عالم الفيزياء الشهير ألبرت أينشتاين صاحب نظرية النسبية العامة والخاصة: العلم دون دين أعرج والدين دون علم أعمى

الثالثة عصراً ذروة الحركة وتدفق المارة والمشترين إلى الشارع المتفرع من سيدي عواض، يونس يتحاشى النظر جهة محل أمل لكيلا تلمحه فتظن أنه يسترق النظر إليها من محله فيظل جالساً بالداخل، ولايخرج حتى يفسح لها المجال أن تقف أمام محلها دون أن يضطرها دون قصد منه إلى أن تقوم بحبس نفسها للتأكد من أنها باتت تتجنب رؤيته، مكتفياً بسماع صوتها وهي تتحدث إلى الزبائن، تتراءى أمام ناظريه هيئتها، رشاقتها وخفتها في الحركة أثناء العمل، تطل لزبائنها كالبدر فجأة وتدخل بحماس لتعود حاملة بين يديها بعض ما طلبوا ونبرات صوتها العذبة في حديثها وأسلوبها في إقناع زبائنها وقدرتها في الترويج

لجودة وذوق محتويات المحل من تحف وزهور وأنتيكات، أوجلستها بعد عناء العمل تارة تستند إلى كرسيها تراقب حركة الشارع من منتصف محلها بالقرب من الباب وأخرى وهى تهز رأسها وتميل بها إلي اليمين وقدمها اليسرى تضرب الأرض بخفة عندما تكون شاردة غارقة في أفكارها، ينتبه فجأة لما تشكّل بخاطره متسائلاً في نفسه هل تشعر بي؟ هل.. ولا يكمل فيهب واقفاً، ويمشي خطوات ويده تعيد ضبط لفائف السجاد المركونة جانباً، يربت بكفه على أخرى في العرض، يشيح بوجهه جانباً وكأنه يتراجع في تساؤله هرباً من معرفة الرد الذى ربما يتوقعه!

جرس الباب يدق، وتقوم فيروز من مكانها على الكنبة لتفتح، وتضع عينها على فتحة العين السحرية وتزم شفتيها باستياء وتبتعد بهدوء خطوات للخلف مبتعدة عن الباب وتدخل إلى الداخل وتتوقف خلف جدتها الحاجة كريمة وهي جدتها لوالدتها، سيدة متقدمة في العمر ولكنها تتمتع بصحة جيدة وحضور ذهن وذكاء متقد، تحتوى حفيدتها كصديقة نادرة الوجود، ترعاها وتعاونها في مهنتها التي نقلتها وعلمتها إياها وتمدها

بخبرتها وتحيطها بالنصح والتوجيه والعناية ،حالتهم المادية ميسورة وأقرب لحياة رغيدة، بعد وفاة والديها الأب ثم الأم التي قتلها سرطان الرحم منذ سنوات قريبة أصبحت جدتها هي كل الدنيا لها.

تفرغ الحاجة كريمة من صلاة المغرب وتقوم ببطء وتنتبه لفيروز وتسألها مباشرة وهي تشير لخارج الغرفة

كريمة : جرس الباب ..إجري يا فيروز افتحي !

وتخرج هي لتفتح تاركة فيروز منكمشة على نفسها بعدما نظرت لها نظرة لها معنى، وعندما تفتح تتفاجأ وتتبسم بود وهي ترحب بالطارق

..

الحاجة كريمة :هانى .. أهلا وسهلا ..اتفضل يابني

هاني : إزي حضرتك

ويدخل خطوات وتغلق كريمة الباب وتجلس قبالته بينما هو يفرك كفيه ببعضهما وهو يفتش عن فيروز بنظره في المكان وقد انتبه لآثار

جلستها الواضحة على طرف كنبة الأنتريه المقابلة لكرسيه الجالس عليه ويستشف أنها عرفت أنه القادم إليهم فتوارت عنه بالداخل

ويبتلع ريقه بصعوبة، يظهر عليه التوتر

فتحاول كريمة تهدئته وترحب به بحرارة وتسأله عن أخباره ولما يستعيد هدوءه يسألها مباشرة

-فيروز كويسة؟ كانت قافلة الأتيليه من يومين؟

-بخير والحمد لله..آه كانت بتجيب شوية طلبات للشغل

-كانت تقوللي وأنا..

ويتلعثم ولا يكمل كلامه فتبتسم كريمة وتتأمله في حنان وود

-ابن أصول والله ..ربنا يفرح قلبك ياهاني

-حضرتك .. مردتيش عليا؟ ورحت لفيروز كانت قافلة من يومين ..بس قلت مش هينفع أكلمها مني لها .. فجيت لحضرتك

– أنا باانسى ..السن! بس هكلمها طبعًا..

ينظر لها ثم للداخل وهو متأكد أنها لاتريد إحراجه ويعرف رد فيروز، وفجأة يسقط ثمة شيء بالداخل، فارتبك وهم بالوقوف فأشفقت عليه ومالت برأسها وبنبرة حانية واثقة

–هى خايفة تسبني .. وأنا عايزة أطمن عليها في بيتها مع راجل محترم يحافظ عليها ويسعدها

تتبدل حالته من التوتر وتوجس الرفض إلى حالة من السرور والارتياح النسبي، ينحني على يدها يقبلها ويستأذن ويغلق الباب خلفه، فيما تتوقف فيروز بداخل غرفتها أمام المرآة تطل على نفسها ونظرة مستاءة تحت جفونها وتتوقف نظراتها أعلى ثدييها فتمد كفها وتضعه على ثديها الأيسر وتضغط بخفة فتتجّعد جبهتها وتعض على شفتيها متوجعة تكتم تأوهاً مع تحسس كفها الآخر للثدي الأيمن، يومان وتزول تدريجياً فهو الاحتقان المصاحب للدورة الشهرية وربما تطور للالتهابات في الغدد اللمفاوية المنتشرة تحت الإبطين ممتدة للثديين بسبب عدوى بكتيرية أو

لسبب آخر غير واضح ولكن النقط الناتجة عن الضغط تركت آثاراً على ملابسها داخل حمالة الثدي في موضع الحلمات!

ويأتي صوت الجدة من الصالة وقد أعدت صينية صغيرة عليها طبق ممتلئ بقطع الكيك وبجوارها شوكتان صغيرتان، وكوبان من الشاي الساخن يتصاعد البخار منهما، وتتقدم فيروز وتضع جسدها فوق الكنبة في مكانها الذي غادرته قبل مضي أقل من ساعة، وترى كريمة ألا تحدثها مباشرة في الأمر الذى تتوقعه فيروز وتباغتها بسؤال وهي تقضم من قطعة الكيك الممسكة بها بيدها وبالأخرى كوب الشاي

كريمة : وريتي القماش للى كانوا طالبينه؟

فيروز: آه.. اللي جت منهم وريتها وفيه لسه ماجوش

-والأسعار حلوة؟

-زي ما هي ..والقماش عجبهم أوي ..أوي

-بقولك يا فيروز .. هاني ولد كويس ..في إيه بس؟!

-مفيش حاجة يا تيتا ..بس أنا مش ميالة له

-ليه؟..شكله مش عاجبك ..

-مش شكله ..بس مش متحمسة

-واد زي القمر وحليوة هو بس رفيع شويتين!

فتضحك فيروز والجدة

-فكري يا زوزا .. فكري

-حاضر .. وهى لازالت تضحك من كلام جدتها وتكرر ..

حاضر.. حاضر يا تيتا

الأمل أثمن ما تقدمه لأحد، يطلق هاني لقدميه الخطى يسابق الهواء ونسيم الليل المنعش يداعب أنفه ويتنفس بعمق ويملأ منه صدره، وضياء يشع من صدره وعيونه تفسح الرؤيا أمامه لمدى غير محدود

يبتسم بثقة وهو يسترجع بداخله مضمون مقابلة جدة فيروز التي أعطته شبه وعد بموافقة فيروز على طلبه الزواج منها

ردها هو الواضح بالنسبة له أما فيروز فلا يستطيع أن يجزم برفضها له أو قبولها فكل مرة تتلاقي عيونهم لا يظهر له منها صد ولاترحيب...

لايرى غيرها، قلبه متعلق بها، يريدها بشدة ..يريدها أن تشاركه حياته

ما أن تهل أمامه يشعر أن الدنيا مقبلة عليه

يجدها مناسبة له فهو محاسب ولديه شقة جاهزة على الفرش ويستطيع أن يقدم لها في حدود الإتاحة ماتطلبه كل بنت مقبلة علي الزواج، فما أن رآها وهو ذاهب للعمل في مكتب المحاسبة في المبنى الواقع على ناصية شارع نادي باريس المتقاطع مع شارع الساحة، انتظرها ليراها ثانية وهكذا لأسابيع متتالية ولما عرف مكان الأتيليه الواقع على مسافة بالقرب من محل عمله وبنفس الشارع، فرح لأنه بالفعل تمكن من رؤيتها مرتين في اليوم واحدة وهى ذاهبة الأتيليه الخاص بها والثانية وهو يتعمد المرور

من أمامه وقت الاستراحة القصيرة من العمل والممتدة لربع ساعة فقط، كان يقضيها في التوجه إليها في بطء الخطى، لعله يفوز برؤيتها صدفة من خلف الواجهة الزجاجية أثناء عملها أو تجولها بالداخل.

تطل بعينين لامعتين أسفل طرف غطائها، تتنهد بارتياح والنشوة تغمرها بعد مكالمة طويلة همساً مع رؤوف، شروق ترفع الغطاء قليلا وتمد ذراعيها وتضع التلفون على الكومود المجاور لسريرها ثم تجذب الغطاء عليها وتحاول النوم بلا جدوى لتجلس في مكانها منتصف سريرها لتعاود حمل التلفون ثانية وتقلب فيه فيما ينبعث من التليفون صوت ناعم ودافئ رخيم بكلمات أغنية عاطفية:

قول بقى يا حبيبي .. حبيبي
هحب فى مين غير فيك
طب ده أنا أيامي أحلامي
وحياتي واقفة عليك
نور عيني حبيبي .. حبيبي

تنصت وهي تستشعر كل جملة تمر على سمعها ومشاعر ملونة مضيئة تتراقص من حولها، تتمطع تحت الغطاء وتسكن قليلا وجفنها الأعلى يقارب الآخر حتى يتعانقاً، لقد قطف النوم يقظتها تاركاً ابتسامة متربعة على شفتيها

يستعد يونس لبدء عمل يوم طويل يبدأ يومياً من الساعة التاسعة صباحاً وإلى التاسعة مساءً ومنذ ثمانية شهور الأخيرة امتدت ساعات العمل إلى العاشرة وأحيانا الحادية عشرة، لم يفته إلقاء نظرة على محلها وعينه تشع أملاً، يمر صبي قهوة الدمياطي عليه كما يمر على زبائن القهوة من أصحاب المحلات في الشارع يلبي طلباتهم ولايمانع في أن يجلب لهم وجبة الإفطار من المطعم المجاور للقهوة وذلك لقاء بقشيش سخي منهم، وحاتم صبي في الرابعة عشرة، لطيف ومرح، معروف بالنشاط وخفة الحركة ومحبوب من الجميع، يمر كل صباح لجمع الأكواب والفناجين الفارغة ويسميها الفوارغ, وهي الطلبات والمشروبات التي طلبوها ليلاً ولم

يتسنى له استردادها ثانية للقهوة ويتركها لليوم التالي, ويتقدم من محل يونس حاملا صينيته الكبيرة

حاتم: صباح الخير ياعم يونس

يونس: صباح النور يا حتوم ..القهوة بقى

حاتم: والإفطار .. حاضر

يونس: اشتريت بلح أسمر من الرطب وأنا جاي وغسلته

وكلت بقى .. شبعت على الآخر

حاتم: آه.. يعنى إيه أجيب قهوة بس ..حاضر

ويلتفت بخطى رشيقة معه الصينية وعليها عدد من الأكواب الزجاجية متراوحة الحجم وفناجين القهوة الفارغة ويميل جانباً متجهاً للقهوة .

هلّت من أول الشارع بحلة العافية تتبسم بامتنان لكل ما تقع عليه عينها في الطريق بعد أيام قضتها مريضة إثر نوبة ربو موسمية تلّم بها بنفس

المعاد من كل عام وأحيانا أكثر من مرة، تقطع المسافة من الشارع الرئيسي إلى الواقع به محلها بخطى متوسطة تلقي التحية على من يعرفونها من الجيران وتعرفهم وما إن تقترب من باب المحل تتذكر أمراً فتفتح المحل وتدخل بسرعة، تتوقف بوسط المحل وتمد يدها وتضغط مفتاح الكهرباء فتظهر محتويات المحل خامدة باهتة فتتأثر في نفسها وتقوم بوضع حقيبة يدها على أحد الأرفف وتدخل جانباً وتستبدل ملابسها بأخرى وتبدأ في تنظيف المحل لإزالة الأتربة المتراكمة على الفازات والتابلوهات

تظل ساعتين ثم تدخل في التنسيق ورص كل شيء بمكانه الأول على أرفف العرض بكل جانب واحدًا بعد الثاني ولما تفرغ تجلس لتستريح قليلا وقد يبدو عليها الإرهاق والتعب وتتنهد بمشقة وتسعل وهي تدفع ذرات تراب ربما تسللت لأنفها أعاقت حركة التنفس فتسعل ببطء ثم تشتد الكحة ويعلو صوتها فتدمع عينها ويحتقن وجهها وتدخل في نوبة سعال ويهتز بنيانها الشاهق وتتورد خدودها وشفتيها المكتنزة ولما تهدأ تقوم

ببطء وتفتح الحقيبة وتأخذ الدواء وهى تقشعر جبهتها على أثر طعمه اللاذع, تعيد الحقيبة لمكانها، وخلف الستارة تخلع الملابس التي نظفت بها لترتدى الأخرى النظيفة ثانية وتقف أمام المرآة تضبط شعرها وهندامها ولما تنتهي، تجذب كرسياً وتفكر في أن تجلس قريباً من باب المحل أو تقف أمامه لإستنشاق الهواء النقي القادم من أصُص الزرع الأخضر الفخارية الكبيرة المتصدرة جوانب واجهات المحلات الكبيرة الموجودة على أول الشارع من الجهة الأخرى .

ليلاً وبعد عودته من العمل جلس يونس وسط أسرته زوجته وأولاده، الولدان بأول العشرين يفصل بينهما عامان أما الابنة فهي دون العشرين بثلاث سنوات، يشاركهم تناول العشاء وكعادته يشاهد موجز نشرة الأخبار في غير مواعيدها حسب مواعيد عودته للبيت ضمن برنامج يومي خاص به وكل مرة يتكرر ذلك فلما يجد أبناءه يتذمرون في همس و نظرات الاستنكار على وجوههم ينسحب إلى غرفته تتبعه زوجته يتحدثان سوياً وهو ممدد على سريره وتمد يدها في الدرج وتأخذ النقود التي طلبتها منه

وتخرج بعدما تجذب عليه الغطاء وتترك لمبة ضوؤها خافت، يحاول يونس النوم فلا يستطيع تتراءى له صورة أمل أمام ناظريه، يستحضر هيئتها وهي جالسة علي الكرسي بمقدمة محلها تتكلم مع زبائن محلها ممن افتقدوا تواجدها وآخرين قصدوا المحل ووجدوه مغلقاً وقت مرضها, ومن أتى ليسلم عليها من جيرانهم وهو بالداخل يفرز صوتها من بينهم وهو صامت، فيما يخفق قلبه وينقبض كلما علا صوت سعالها الذي كان يقطع حديثها، فيشهق وتدمع عينه وأنفاسه تتلاحق كأنما توحد مع حالة أمل! يستدير في هدوء وهو يجذب عليه الغطاء ويتمدد على جانبه الأيمن والنوم قد هرب بعيداً

قبل أن يراها كان خالي البال، ينام بعد ساعتين بالتمام من عودته من عمله ليبدأ في الغد من جديد، لايصطحب معه إلى فراشه سوى تعبه الذي يتولى النوم غسله بالكامل منه، ماله وهذا الدخيل؟ هذا الهم الوافد!

الحب ؟! إن الحب ليس نزهة في بستان ورود إن الحب فخ فلا تقترب

،هاهو يبيت ليلته كمريض يعتريه ما ألم بها من تعب

وكأنما صدق فيه القول:

إذا امتزج الماء بالماء امتنع تخليص بعضه من بعضه

وقد تبلغ المحبة بينهما حتى يتألم أحدهما بتألم الآخر .."عن شمس الدين بن قيم الجوزية"

رجل تعدى الخمسين ماله والحب ؟ أليس له قلب؟!

مؤكد لديه أسبابه ولكن حمولة الحب ثقيلة على القلب

الحب مسؤولية فهو كما يذيقنا رحيق الحياة يغمسها في الألم

تنادي لمياء عليها صارخة بنفاد صبر

-ياشروق ؟!

فتفتح باب غرفة نومها منهية المكالمة بسرعة حتى قبل أن تنّبه الطرف الثاني وتخرج مهرولة وتقف أمام أمها الجالسة مربعة علي الكنبة في الصالة أمام التلفزيون المدار

شروق: نعم ياماما

لمياء: جايبة لي الكلام ووجع القلب

فتجلس على طرف الكنبة متوقعة أمراً من وراء ملامح وجه أمها المحتقن وعيونها الحزينة ونبرة صوتها المخنوقة

شروق: حصل إيه ياماما ؟! في إيه؟!

لمياء: أبوكي بيقولك يا يجهز رؤوف الشقة ويحضر المهر يا كفاية كده..

شروق: نعم؟! على نفسه

لمياء : بت!!! وتهب واقفة وبدا عليها الثورة والاضطراب

شروق: ميطلعش جنانه عليا هجيب له منين

لمياء: اتكلمي كويس

شروق: يعنى عاجبك يا ماما اللي بيقولوا ده

لمياء: ما هو معذور برضه

شروق : ليه إن شاء الله هو ماله أنا اللي هتجوز

لمياء : الخطوبة طولت...

شروق: ماما متخوفنيش بقي..رؤوف ظروفه وحشة وخالتي هحكيلك كل حاجة أول بأول

لمياء : خالتك ! وأبوكي أعمل وياه إيه؟!

شروق: يخرب بيت أبويا في الأرض

لمياء: عرفتي تربي ياصلاح

فتلقي شروق بنفسها على الكنبة بجوار أمها وتجهش بالبكاء

لم تعتد لطيفة ما تراه منه، أحيانا تجده يجذبها بعنف من ذراعها وهما يعبران الشارع بعد يوم رائع قضياه معاً يضحكان ويأكلان ويمشيان على العشب، أحمد يصغر لطيفة بسنوات يرى غير سبب ليحجم عواطفه

ناحيتها أو منع قلبه من التعلق بها وروحه المتيمة بها، أكثر من مرة يستوقفها أسلوب معاملته المقلق بالنسبة لها إلا أنها أمام عاطفته القوية تجاهها تتجاوز الموقف تلو الآخر، تجد نفسها غير قادرة على البعد عنه ولكن شيئًا ما بداخلها، قلق يزداد مع الوقت ولكنه كلما استشعر ترددها في ارتباطهما يتودد إليها ويستعطف ويستميل ويحيطها باهتمامه وتدليله, قبيل الظهر يتوجه إلى هناك لعلمه بأنها ستكون موجودة عوضاً عن المرات التي لم يجدها فيها ولما يصل يقترب من الباب الزجاجي المفتوح ويطرق عليه بخفة، فلما تنتبه يلقي التحية فترفع رأسها عن كشكول كبير تدون فيه المبيعات بجواره نوتة الفواتير، ويتهلل وجهها لرؤيته رغم الارتباك وتنطق اسمه كأنما تعزف لحناً يلقي ذلك في نفسه تأثيرًا حول نظرة الحزن والعتاب في عينيه إلى لهفة عليها وسرور، فيبتسم ويدخل ويجلس أمامها ولا يحدثها في ردها الأخير بشأن عرض الزواج عليها فيجدده وكأنما يصدر فرماناً

-هروح لعمك أطلبك منه

تفاجئها نبرة صوته، يصدق ظنها فتتأثر فسبب رفضها له نجم عن طبيعة شخصيته المتهورة ومستلزماتها المتفرعة منها، فلا ترد عليه فيتأملها باستنكار وحديث متقطع بين العيون، الاثنان يحبان بعضهما ولديهما رغبة قوية متبادلة ،هل تخشى إخباره؟ وموقف ولديها من مسألة زواجها من أحمد ويخبرها على عادته فإنه هو من يخبرهم فتصاب بخيبة أمل فيه ويصدق ظنها في أنه لايناسبها لحياة مشتركة ممتدة ، لا تتوقع من ارتباطهم حياة مستقرة وآمنة وسعيدة فيحتار في برودة ردودها عليه ويحاول اقتراح حلول عليها فلما أخبرته وخوفها علي أولادها وأنهم صغار

..

– خليهم مع جدتهم ونأخذ لنا شقة في العمارة اللى قصاد بيتكم

–أمى متقدرش تخدمهم

–روحيلهم كل يوم ..هو سواد الليل بس

–سواد الليل !!

-طب أعملك إيه؟

-شوفي هتقولى ليهم إيه بس متطوليش بقى

-مش عايزة حاجة

-شكرًا..سلامتك

يمشي ويتركها مصممة على رفضه !..

عصر الأحد, كافيه مكتظ بالزبائن .. يجلسان في الجزء المفتوح والمحاذي للشارع، الجلبة من حولهما، أما هما فصامتين مهمومين، يتلفتان حولهما بعيون ذاهلة يستشعر كلاهما العجز وقلة الحيلة، شروق ورؤوف قبالة بعضهما، كل منهما يدير وجهه جانباً، ما أخبرته به شروق أقوى من احتماله، يرمق كل ما حوله بذهول وهو غير مصدق لما سمع والغضب يطل من عينيه، تبدلت حالتهم والجو أيضا كأنما انتقل بهم منتصف الشتاء، أكتاف منكمشة، وأطراف رخوة والعيون توشك أن تمطر, شفاه ضلت الحروف الطريق إليها، وبصوت أقرب للأنين

-عاجبك اللي أبوكي بيعمله ده؟

فتدمع عيناها..

-أبوكى معندوش قلب ياشروق

أنا لو أقدر أجهز اللي طلبه .. فتمسك شروق بيده وتقاطعه غاضبة مستنكرة مما يقول:

-يعنى ايه بقي؟! هتسبني يارؤوف ؟ لأ لأ

وتقبض بكلتا يديها على يده متشبثة بها في عنف

-بس يا شروق الناس ها تتفرج علينا

-وأنا مالي .. أنا مالي

بصوت صارخ تقولها، لاتتخيل أنهما علي وشك أن يفترقا بسبب ضغوط أبيها على رؤوف، وأنهما عاجزان أمام محاولات تحطيم أحلامهما، فينهاران غير مصدقين حجم هذا التحدي الذي يواجههما، وتتشابك

الأصابع، الأذرع ويتعانقان، يبكيان بحرقة وعيون المارة تتحول ناحيتهما، يبطئوا الخطى، يسددون إليهم نظرات ساخطة،لائمة والبعض توقف ليراقب في فضول واستنكار ما يجري، هذا غير المتواجدين داخل الكافيه والجرسونات يحدقون بهما في ذهول واستنفار للتدخل، لكن يتبدل موقف الجميع أمام نوبة بكائهم ويغرقان بحالة من الأسى والحزن، ويتبدل الموقف في أثر ما لمس الجميع إلى شفقة وتأثر كبيرين ونظرات بعضهم تود لو تطرح حلاً أو تقدم العون لشاب وفتاة في موسم تفتح الزهور متعانقين تلعق اللوعة رحيقهما، وسيل حزن جارف يحاول ابتلاع أحلامهما

لم تتوقع فيروز أن حب لطيفة وأحمد سينهار بسبب تراه بلا معنى ومحض مبالغة فى المخاوف من قبل لطيفة وتدافع عن أحمد وتحاول إقناعها بقبول الزواج منه المفارقة أن فيروز رفضت المحاسب هاني لسبب تراه لطيفة ساذج!

بتأثر وصوتها مبحوح على أثر البكاء

-ولكن حبه الكبير ده ممكن يبلعني..يغرقني

-إيه الكلام الكبير ده .. مفيش حب بيأذي

-لا في ..حب أحمد ليا ..هايئذينى

بنفاد صبر تنصت فيروز لكلامها ومازالت تراها تهول من صفة واحدة ترفضها لطيفة بشدة وتبني عليها مخاوف كبيرة للحد الذي تراها السبب لهدم سعادتها ومن ثمة زواجهم إن تم ، ترفض رغم إلحاحه وحيرته من رفضها القاطع للزواج منه ،في الوقت الذي يعرف قدر حبها له، لا تفصح لطيفة لصديقتها عن السبب الحقيقي لرفضها الزواج من حبيبها ولولا مجيء بنتين وبيدهم لفائف ملونة تخفي هدية فساتين مطوية فتستأذن وتنصرف على غير رغبة فيروز التي كانت تود لو تنفرد بلطيفة وقتاً أطول لعلها تنجح في إثنائها عن رأيها وتشير لها في الهواء بيدها وهي خارجة بلغة الإشارة أن تحدثها في التلفون فتهز رأسها موافقة وتندفع في طريقها لقلب الشارع متجهة إلى معرض الأجهزة الخاص بها ساهمة

لاتلتفت على أحد تتجمع على وجهها سحابة رمادية تحجب عنها رؤية كل الأنوار التي تغمر كل الاتجاهات

يصل أمام الأتيليه في الشارع وهو متردد في الدخول يقف بالخارج وعينه تفتش بين الواقفين عن فيروز وما أن يدفع الباب لتنتبه إحداهن وتسأله بلطف عن ماذا يريد فيلقي التحية عليهن فترد البنات في صوت جماعي متفاوت النبرات ويتطلع بعضهم فيه بتفحص وفضول فيسأل عن فيروز فتلتفت مساعدة فيروز وتنادي عليها فيما يستدير أحمد إلى ناحية الشارع يتنهد بضيق ونظرات عينه متوترة, ويبدو لم تسمع فيروز فتنظر البنت على أحمد بترقب فتجده متعجلاً يتحرك في مكانه فتلمس تعجله فتقوم من مكانها وتدخل إلي فيروز مكررة النداء وقبل أن تدخل إليها تظهر فيروز وتجيب فما أن يسمع صوتها يلتفت علي الفور

-مساء الخير

تتفاجأ به فيروز و تحاول تمالك نفسها

-أهلا وسهلا ..أهلا بيك

-إزي حضرتك

-الحمدلله بخير ..إزيك يا أستاذ أحمد اتفضل

وتشير إلى كرسي قامت إحدى الموجودات وأخلته له وأخذت تتجول داخل المكان، لحقت بها بقية البنات تباعاً وهؤلاء البنات واحدة منهن مساعدة فيروز في أعمال الأتيليه والأخريات من زبائن المكان

تجلس قبالته فيروز تتمنى لو أنه لايحدثها بخصوص لطيفة تجنباً للحرج

ويقطع عليها خاطرها متسائلا: لطيفة كلمتك أكيد عني.. أنا عارف إني زعلتها لكن عايز أعرف السبب في رفضها الارتباط بي

فيروز: إديها فرصة تفكر تاني

بغضب مكتوم ويرد على مضض

-فرصة !!..

ويهب واقفاً وهو متأثر ويقول بصوت مختنق

-شكرا ليكي .. أستأذنك

بتعاطف ترد على الفور بنبرة مطمئنة كأنها ترسل له بريق أمل في مسألته ويجذب أحمد الفيسبا لبضع أمتار وعينه تغمر الشارع أمامه بأسى وقلق

ويستقل مركبته، وينطلق بها على جانب من الشارع في هدوء

وبمجرد التأكد من انصراف الضيف تتدفق البنات اللائي من الداخل باتجاه فيروز التي تتنهد في تأثر وشفقة خاصة وأنها علمت من لطيفة برفضها التام الارتباط بأحمد

طلع النهار الذى انتظرته بعد قضاء ليلتها تفكر ماذا ستقول له لتبعده عنها حفاظاً على سمعتها، ولأسباب أخرى منها أنه متزوج ولفارق السن، وبعد أن انتهى من بيع سجادتين وانصرف مشتريهم تقدمت بخطى متأنية وتظاهرت أنها لمحته فتلقى التحية عليه متصنعة اللطف

-صباح الخير ..يا عم يونس

صباح النور يا أمل

وهو غير مصدق أنها تقترب من محله وتلقي التحية عليه، ينطق اسمها كمن يملأ رئتيه بعطر أخاذ مستشعرا معناه في نفسه، يتطلع إليها بثبات ويحاصر ما بداخله كي لا ينعكس بنظراته أو كلامه معها مراعاة لظروفها كمطلقة شابة وجميلة فيومئ برأسه ليدخل لما يجدها تتراجع خطوات باتجاه محلها

وتلمس هذا وترسم ابتسامة مترددة

-نهارك رزق وخير

- نهارك هنا وعمرك فرح وطريقك نور

بريق عينه ونبرته الحانية وكلماته لم تخطىء الهدف !وترتعش شفتاها وتجحظ عينيها وبهدوء تلتفت تسحب دهشتها لما استشعرته بداخلها وتلجأ لجانب من المحل تحاول أن تستوعب ما جرى

أما يونس فيعيد ترتيب جلسته السابقة يضع المصحف جانباً أعلى رف خشبي بجوار مكتبه ويضبط قناة الشاشة الصغيرة المواجهة لمكان جلسته ويرى ألا يجلس فيتجول داخل محله يعيد متمماً ترتيب المكان، يسترجع ما قالت وخاصة لما تعمدت أن تلمح بفارق العمر ونادته بعمي! ابتلع ما قصدت وهو يتمنى لو تتغاضى عن ما يدفعها لصده ورفض حبه لها بينما هي تحاول إعفاء نفسها من ملامة الناس لو وافقت كما أنها لاتضمن أن تلقى هناءها معه بعد تجربة زواج قد تجاوزتها بمشقة، بقربه تلمس قوة في نفسها وشعورا بالأمان وهما أقصي ما ترجوه وتنشده ولكن ملامة الناس مريرة ونظراتهم موجعة، وتغالب اندفاع مشاعرها تجاهه مضحية بما وجدته بعد بحث وتمني، حتى أنها تقلل من فرحتها بقربه ومشاعره المتدفقة تجاهها

قديما قالوا : العند يولد الكفر

وتدير أمل ظهرها للحب وللأمل رافضة بدء صفحة ربما تكون الفصل الأزهى من حياتها وتعتمد على ما خلفته التجربة السابقة مرددة في نفسها

–الرجل لا يوفر للمرأة الراحة ..إنه العبء الذى لم أعد أحتمل وجوده، الحياة من غيره بسيطة ومريحة، يومي مستقر بعيدًا عن تقلبات مزاجه وثورته واستفزازه وإلزامي بكل ما له من حقوق في الوقت الذي لا يتذكر من حقوقي عليه سوى إطعامي وبقائي داخل مسكنه، يخمد جذوة الرغبة فيّ صلفه وشح مشاعره ويفرض عليّ الاستجابة كلما رغب،غير التماهي بدعم كل ما يقدس شخصه المرتجف

لقد أعفيت نفسي من الزواج ومسؤوليات ومتاعب والتزامات يقوم بها طرف واحد هو شخصي البسيط !..لا أريد الحب ..أرفض الزواج

القلب قد أضناه عشق الجمال

والصدر قد ضاق بما لايقال

يارب هل يرضيك هذا الظمأ

والماء ينساب أمامي ذلال

"عمر الخيّام "

لسان حاله يشرح أبيات الخيام الكبير، فبعد مغادرة بيت أهل العروس التي جاءت مستوفية للشروط

وقد لمس أبوها انبهار العريس بجمال ابنته ما دفعه وشجعه على مضاعفة الضغط عليها واستمالتها

فنادى صلاح عليها بنبرة حانية وحازمة ويسألها عن رأيها في العريس المتقدم لخطبتها؟ تطأطأ رأسها وتنطق بكلمة غير مفهومة فيكرر السؤال فتسكت وعينها للأرض فيشير لها بالجلوس بجواره، ولمياء تراقب في صمت تخفي شفقة علي ابنتها وخشية من ثورة زوجها

-عريس معاه فلوس وشهادة ..محترم .. ابن خالتك

فتدمع عيناها من أن تتكلم عن رؤوف وتكتم صوت نحيبها بلا جدوى فيرق قلبه بينما تفر لمياء من المكان غير محتملة لحالة شروق وتتظاهر بأنها تعيد ترتيب المكان وتجمع أكواب العصير على الصنية وتتجه بها إلى المطبخ

-طيب هو كويس ..يقدر يفتح لك بيت؟

-هنساعد بعض ..راحتى معاه يابابا

-إيه الهبل ده انا مش موافق ..بطلى حمورية

مش هتشيلى هم حاجه من غلب الدنيا .. مش عايزك تتعبي ولا تتبهدلي .. يمكن تبقي زعلانة مني دلوقتي، بس بعدين هاتعرفي إن عندي حق ..أمك خايبة زيك خدتني وكانت بتحبني، وشايفة حالها

التفتت ناحية أبيها بعيون دامعة وهي متعجبة مما يقول

-لو هي معتزة وفرحانة بجوازنا كانت قالت لك إننا كنا بنحب بعض بس الهموم والفقر مسحوا ذاكرتها

ويتوقف أبوها عن الكلام وهو غير راضٍ عما قالت ولكن عاطفة الأبوة دفعته لجرح نفسه بنفسه، لقي ما قال أثره داخل نفس شروق التي تعمل 10 ساعات في اليوم لتساعد أسرتها عقب تخرجها من معهد الخدمة

الاجتماعية متنقلة بين عدة وظائف واستقرت مؤخراً بمصنع تغليف منتجات غذائية

الخامسة فجراً تئن باكية وسط ظلام غرفتها، تنتحب بصوت مبحوح متأثر بالبكاء الممزوج بالصراخ وعينها منتفخة من أثر البكاء وقد علم أبوها بما كانت تنوي إخبار خطيبها به، شروق تريح رأسها على ركبتيها المضمومتين لصدرها والدموع تسيل على خديها وفكرة حاضرة بذهنها، تفكر كيف سيكون رد فعل موهوب عندما تنفذ ما قررته، ستخبره بكل شيء وعليه أن يتخذ قراره، ربما سيشعر بالحرج عند علمه بأن الخطبة تمت بضغوط من أبيها وقد يصمم على فسخ الخطبة فتجد نفسها حرة من هذا القيد الملتف حول رقبتها أم أنه يتظاهر بعدم الفهم ليبقى الوضع كما هو ويعتمد على قبول وترحيب أهلها به ويتعامى عن موقفها الذي أفصحت عنه من خلال ما ستعلنه له؟

وتجري حديثًا معه في مخيلتها، وهي تضغط على أسنانها بغيظ

-سأقول له ..أنا مش للبيع ..مش للبيع

شروق: فاكر نفسك إيه؟ تستبدله متسائلة باستنكار: أشمعنى أنا؟

موهوب: من حقي اختار من تعجبني

–بس مش من حقك تعتبر بنات الناس سلع بتشتريها

– كنتِ موافقة

– أهلي عرضوني سلعة عليك

– وأنتِ قبلتِ وفيه غيرك بيقبل

– أنت صعبان عليا.. فلوسك هات بيهم حاجات تبسطك

– شكرا ياشوشو!

– أنصحك .. بطل تشوف البنات حاجات وسلع

– إنتِ لما تتجوزي هتتجوزي أى واحد؟

شروق : لأ .. لازم يكون عاجبني

موهوب : طيب وأنا برضه كده

– بس مش بفلوسي

–ومين قالك إني بشتري .. أنا بدخل البيوت من أبوابها ..بتقدم وافقت البنت وافقت.. موافقتش خلاص

– بس إنت عايز تتجوز واحدة حلوة

موهوب: والحلوة بفلوس والتانية ببلاش؟! ده جواز له تكاليف و..

لو مش قادر عليها مش هتقدم ولو البنت معجبتنيش مش هكمل الموضوع

وتفك وضعيتها وتضرب مخدتها بغيظ متوقعة الفشل لخطتها

مساء يوم خميس، صوت تلفزيون مدار على فيلم عربي غالباً هو من إنتاج التسعينات يظهر من إيقاعه وقصر مشاهده وطول حواراته التي بلا إحساس ولا طعم إنه فيلم تفاحة لفرخة السينما أو قطتها! ،وتبدو أركان الشقة مرتبة بعناية ومحتوياتها منسقة بمبالغة واضحة..

تجلس شروق بزينتها المعتادة في كل مرة يأتي فيها موهوب لزيارتها ككل خاطب ومخطوبة، وعلى مقربة منهما علبة جاتوه كبيرة و باقة متنوعة من الزهور أوراقها الرقيقة ندية يغلب عليها اللون البنفسجي الذى يحبه موهوب، وهو يحاول كسر هذا الصمت فيكرر تحية شروق ثانية لتنظر له مستنكرة ويستغرب نبرتها الحادة في الرد فيسألها:

-مالك يا شروق؟

- مفيش

-متأكدة؟!

-آه

وتتقدم الأم من الداخل تحمل صنية عليها كوبان من العصير وقبل أن تجلس يتحرك موهوب في مكانه يبدو أنه يريد الانصراف وتتلاقى عينا شروق وأمها فتقول لها بنبرة مترددة

-ماما..كنت بكلم موهوب في حاجة ولسه مكملتش

فتتجه أنظار الأم ناحية موهوب وتتبسم مستبشرة وتومئ برأسها وتدخل في انصياع لطلب شروق

بلا مقدمات تنتقل شروق وتجلس بجوار موهوب وقبل أن تتفوه يقف موهوب في مكانه دون أن ينظر لها ويقول بصوت مرتفع مسموع

طب أستأذن أنا بقى ..عم صلاح اتأخر

وهو ينظر لها ببرود

– سلامي لعم صلاح

ترد الأم القادمة من الداخل مهرولة

–مستعجل ليه ياموهوب ..عمك صلاح على وصول

أنت عايزه فى حاجه؟!

موهوب: مقدرش أستغنى عنه بس ..مرتبط بمعاد مع ناس ومضطر أستاذنكم .. تصبحوا علي خير

وهنا تتكلم شروق من بين طوفان الحيرة الممزوجة بالاستياء

–لو سمحت ياموهوب..اقعد شوية

موهوب بحزم : المرة الجاية ومشي باتجاه الباب مباشرة وخرج

صعد درجات السلم بصعوبة والضيق يترشح في أحداقه، فتح الباب ودخل وألقى بالمفاتيح على الترابيزة وظل واقفا مكانه في ضوء الشقة الخافت يحيط به الفراغ

السادسة مساء الجمعة وحسب الموعد المتفق عليه مع أهل العروس تجلس فوزية وعبد الفتاح في الصالة وصدى صوت الأغاني يتردد في أركان الشقة، موهوب يتمم على هندامه أمام المرآة يدندن هامساً بكلمات من الأغنية المدارة، يضبط الكرافتة الحريرية البمبي، يرتدي جاكيتة زرقاء زاهية وبنطلون كريمي فاتح ويرفع زجاجة البيرفيوم ويرش على أكتافه ويفتح الجاكتة ويوزع على قميصه من الجانبين، يميل قليلاً للأمام محدقاً

في وجهه، وتتجمع الخواطر في محيط أحداقه يحاول التملص والفكاك ولكنها كانت أقوى وأكثر إلحاحاً.

يضم شفتيه على بعضهما ويضع حداً للأفكار المتواترة على ذهنه ويتنهد بارتياح ، محاولاً طمأنة نفسه لتهدأ، بأنه أخيرًا وجد من تستحقه، فتاة أفضل ممن سبقتها وقوامها أكمل وأنضج وأشهى، باردة ولكنها ستشتعل مع الوقت أنا واثق من ذلك فكل الجميلات يستجبن لمن يمتدح حسنهن ويعرف كيف يوقظ مشاعل الفتنة الكامنة في أجسادهن، هذه المرة هو متعجل على اختصار مدة الخطبة ليتزوج ويذوق طعم الاستقرار الذى يتوق إليه كما أنه تعب من الأكل الجاهز وينتظر اللحظة التي يشق فيها مشوار طويل مع شريكة حياته وأم أولاده، يأكل معها، يبدأ بها اليوم ويختمه، ويشاركها مسائل أخرى يعز عليه تأخيرها لهذا الحد، يقطع خلوته بنفسه نداء فاروق صديقه الذى أتى ليذهب معه إلى حفل الخطوبة وجميعهم فرحين له، يأملون بحضور حفل الزفاف قريباً لايدري موهوب من بين آماله العريضة التي بناها على خلود وحجم التكاليف الكبيرة التي

أهدرها على الشبكة والهدايا وتغير ألوان الشقة حسب رغبتها بأخرى تاركاً لها حرية إخباره بكل مايلزم في شقتها والأثاث بعدد الغرف، أوصوا صاحب المعرض بتوفير غرف النوم الكبيرة والصغيرة والسفرة وأيضا الصالون، وبأن يكون تصميمها نيوكلاسيك وبدأ في توفيرهم بالفعل حتي يكونوا جاهزين قبل أربع شهور وهو ميعاد الفرح الذى حدده مع والدها بحضور أخوها وأمها وسط صمتها التام مكتفية بابتسامة رقيقة وحمرة خجل على محياها، يسابق الزمن ويتهيأ للنقلة الجديدة، متغاضياً عن أشياء صغيرة سماها توافه أو ضريبة السعادة !

فكان يندفع متقدماً في إتمام الخطبة وصولاً للزواج، ووجد مبرراً لصمتها الطويل في حضور أخوها معهم وحديثه المتكرر عن طموحاته وأفكار المشروعات التي يطرحها ويتحمس لها محاولاً إقناعه بأحدها،

كما أهمل حجم تأثره بنظرة العبوس التي ظللت ملامحها بالمرات المعدودة التي جاء إليهم ولم يكن يحمل معه أياً من علب الشكولاته الفاخرة أو الجاتوه وبوكيهات الورود والتحف

ومصادر ملاحظته وما نتج عنها من إحساس قوي تولد بداخله بعدد المرات التي جلب معه هدايا في تعجلها انصرافه وهي ترمي بطرف عينها إلى الأشياء التي دخل بها متروكة علي ترابيزة بجوار الحائط قريبة من الأنتريه الذي يجلسون عليه، فأثناء ما هو يتحدث مع تامر والذي شاركهما الرقص يوم الخطوبة وسط تدفق الإضاءة المسلطة حولهم وأنغام الموسيقى والأغاني وتصفيق المدعوين يتحول كلامهم إلي مشادة كلامية ويقوم تامر بالتطاول عليه لفظياً ليتصاعد إلي ضرب متبادل بينهما تنهار على أثره الخطبة ويسترد موهوب الشبكة والكثير من المرارة والألم.

وفشلت كل محاولات خالته وزوجها في التخفيف عنه حتى أن فوزية أصبحت تتجنب كل ما يتعلق بالبنات والزواج أمامه

أما فاروق فنجح فى التخفيف عنه ولكنه لم يوفق في أن يتجاوز موهوب كل ماجرى معه

كاد ذات مرة أن ينجح فتأهب للحاق بموعد مع أهل فتاة قد تكون هي الأجمل من كل من سبقوها، حلق ذقنه وارتدى قميصًا أبيض وبقى أن يختار الجاكتة ثم البنطلون ومن أمام ضلفة الدولاب المشرعة عن آخرها استرعى انتباهه أن من بين تسعة بذل معلقة على الشماعة أربعة منهن قد ارتدى واحدة بعد أخرى في خطوبات انتهت جميعها تاركة بداخله غصة

فأعاد الجاكتة إلي مكانها وتراجع للخلف وألقى بثقله علي السرير

وقف فاروق أسفل البيت وظل ينادى بصوت عالٍ غير مبالٍ بنظرات المارة والوجوه التي أطلت تحملق فيه من نوافذ بعض الشقق على الرغم من أنه ينادي على اسم معروف لديهم، ولا أحد في البناية أو الشارع وربما المحافظة بأكملها يحمل هذا الاسم غير صديقه ولكنها واحدة من أشياء يقدم عليها عدد كبير من شعبنا الطيب فمن المدهش أنك تجد من يفحصك باستغراب وأنت تنادي على شخص لايعرفه ولكنه فائض من طاقة أو وقت وفضول, يبتلع ريقه ويعاود النداء وهو يمد حرف الواو!

–موهوب؟

يفرك موهوب عينيه ويزفر بضيق وهو يفتح شباك البلكونة ويبدو بمزاج بالغ السوء، ويرد بصوت مختنق وملامح وجهه مكسوة بأكوام من الغم وعلامات الضجر!

ويكتفي بأربعة حروف يسكت على أثرها فاروق والفضولين من الجيران والمارة

–نازل

بجوار الشباك تجلس فوزية مهمومة في مكانها على الكنبة القريبة من الشباك تهز رأسها للأمام تكاد تسقط منها وعيونها مليئة بالدموع تعض علي شفتيها أيكون السبب وراء حالتها تلك تأثرها للظروف التي يمر بها ابن أختها أم أن هناك سبب آخر؟!

ظلا يتحدثان إلي أن سكتا فجأة وقد هدأ موهوب قليلاً واسترخت ملامح وجهه واستعادت عيناه صفاءهما وهدوءهما فيما يتبسم فاروق برضى وهو يتطلع للطريق يكتم ابتسامة تطل من عينيه وجبهته تتمدد فوقها علامات الدهشة من فرط ما قطعا من مسافات ومرا بشوارع

الصديق طبيب عظيم حقاً وإنه أحسن وقاية من الصدمات كما قال فيلسوف العلم والإيمان الدكتور مصطفى محمود

فالحالة التي كان عليها من ساعتين فقط غير التي هو عليها الآن

ودَّ فاروق لو يجلسا قليلاً ليستريحا على واحدة من المقاهي بالشارع ولكن موهوب مستمر بالسير باتجاه العودة إلى البيت إلي آخره يقابلهم بعرض الشارع واجهة مسجد الظاهر بيبرس الجامع الكبير سابقاً والذى كان الشيخ عواض إماماً له وهو المسمى على اسمه الشارع المارين به منتهياً بالمسجد الأثري العريق الذى يعتز به كل أهل قليوب والذى بنيّ في عصر السلطان ركن الدين بيبرس البنداقداري وحظيت قليوب باهتمامه منذ أن عين والياً قبل أن يصير سلطان البلاد وانتشرت البساتين والحدائق

بمناطق متفرقة وكانت تسمى قوت القلوب ثم حَرّفت لتصبح قليوب واعتبرت كااستراحة لكثير من الأمراء وقتها وإلى قرابة قرن ونصف من الزمان كانت تعد قليوب مديرية ثم تحولت إلى محافظة، وعلى كثرة ما انتشر وعرف عن فترة حكم المماليك من مواجهات وصراعات دموية على الحكم إلا أن لهم فضل عظيم على العالم الإسلامي والعربي، لقد قتل التتار نصف المسلمين حينها حتي إن المؤرخ المقريزى رفض أن يدون ما يحدث من أهوال ومأسي ظناً منه أن بعد ما يحدث ستكون القيامة ! ولكنها مصر هي التي تمكنت بهزيمة هؤلاء الهمج الوحشيون وكسر شوكتهم في الشرق من خلال عدة مواجهات في زمن المماليك

وهناك مسجد آخر للظاهر بيبرس أكبر وأجمل من الموجود بقليوب رابض بحي الوايلي بالقاهرة ضمن ثروة معمارية وأثرية ضخمة

قطع موهوب درجات السلم في دقائق معدودة وتوجه إلي شقة خالته ليفتح له عبد الفتاح الذي يواري وجهه وعينه الباكية في تفحصه موهوب في قلق متوجساً وقوع أمر ما وهو الذى عاد متخففاً من همه وشجونه،

عينه تستنطق زوج خالته، وبعد أن يغلق الباب يتبعه ويجلس بجواره وهو يمد رأسه للداخل يفتش عن خالته وعينه جاحظة يتردد في أن يسأل ماذا جرى؟ ..ولسان حاله يقول حمولتي لاتحتمل جديدًا !

# (الفصل الثالث)

بالِكبر الكامن في طبعها تجر قدميها وتمرق من الباب والثورة تضرب أركانها تود لو تنفجر فيه ولكن ما الفائدة، فالمصاب فيها والوجع ينبوع يتفجر بداخلها، الدموع لا تجدي, الحزن في عينيها ملتوياً والغضب شاهراً سيفه، من مكانه يطل عليها مستشعراً مابداخلها، يعتصره الألم ويتمدد بداخله القلق والحيرة، لايعرف ماذا يقول لها فطوال الطريق وهي تجلس بجواره جامدة لا تلتفت ناحيته أوتحدثه وما أن وجدت نفسها بداخل جدران غرفتها أخذت فوزية تصرخ وتبكي وتتمتم بكلمات غير واضحة، تفتح الدولاب وتلقي بملابسها المعلقة والمطوية علي أرضية الغرفة، أطقم النوم بألوان قوس قزح وفساتين وعباءات الخروج الشتوية والصيفية المزركشة والمزينة بالفصوص والجيبر والدانتيل الغامقة والزاهية والدافئة، الأصواف والحرايز والستانات، وتجذب من على الرف صندوقًا خشبيًا صغيرًا أحمر مزين بإطار لبني لامع، منقوش عليه اسمها بفصوص فضية، يقع فوق الملابس ،يصطدم ذراعها وضلفة الدولاب فيتضاعف ألمها مع بكائها وصراخها، من حولها فوضى كبيرة، بصوت مختنق وجمل متقطعة

يتخللها صوت نحيبها ..تحمل تلك المعاني –أنت السبب..لا أطيقك ..اتركني وحالي..

.. لن أكمل معك ....ضيعت عمري في الفاضي !...

فيقترب من الباب بخطى ثقيلة كوقع كلامها على نفسه

–فوزية؟!

تصرخ وتبكي بصوتٍ عالٍ ولاترد

يقف أمام باب الغرفة ويده علي الباب ينظر بأسي وعينه تملئها الدموع ،ولما لاتفتح له وقد خف صوت بكائها، وضع نفسه على أقرب كرسي بالصالة وهو يحملق في الفراغ ،يحاول دفع تأثير ما سمع ليتردد صوتها بداخلها متذكراً يوم أن أخبرها أنه لن ينجب وخيّرها بين القبول به أو تركه وكم كانت متأثرة لأجله ولما يعتريه من مشاعر الحزن والإنكار الممزوج بالسخط, يوم أخبره آخر طبيب ذهب إليه بما قاله له كل الأطباء الذين تردد عليهم وقد تطابقت نتيجة الفحص والأشعة والتحاليل التي ظل

يكررها بكل مرة يتوجه فيها إلى طبيب مدفوعاً بالرغبة في تأسيس أسرة كبيرة العدد أسوة بأبيه وكذا خوفه من أن تتركه فوزية في حال علمت أن هناك مشكلة ليس لها حل تحيّل بينه وبين الإنجاب ولكنها قبلت وفرح لموقفها واطمأن، وفي اليوم التالي مباشرة كتب لها فرع المحل مناصفة بينه وبينها دون علم أبيه وقتها وبعد سنوات أصبح لديه اثنان غيره واحد منهما قد ورثه عن والده والآخر أسسه بنفسه، أسعفه ماتذكر ليخفف وطأة ما يحدث ولكن ألمه وخوفه في ازدياد

بداخل أضيق مكان أمام عين فوزية وقد غاب بريقهما من فرط البكاء وذبل فيها شيء حد الإنسحاق التام، بدت الحياة لها هيّنة وكل ما فيها ضئيل وبلا قيمة وكأنما تعرضت للخديعة أوالخذلان هكذا مشاعر كل من ألمت به شدة أو صدمة

ما أبكاها بحرقة واعتصر قلبها أن الأمل غادرها للابد

فقدان الأمل مثل فقدان القدرة على التنفس موت محقق

الأمل رفيق الروح وبدونه تشيخ وتذبل وتتعجل الغياب والإفلات من هذا الجحيم، الحياة بدونه أقرب لخرابة،

في كل الحالات لن تنجب سواء بقي الرحم أوتم استئصاله بالورم المتنامي بداخله مهددًا حياتها

فذلك الرحم الذى ودت لو يخرج منه طفل يتحتم إخراجه من مكانه ليغادرها للأبد ..

اهتزت ثقتها في نفسها ورغم محاولات تودده إلا أنها تعامله بنفور، ساخطة عليه وعلى قدرها، مشفقة على نفسها، تتعذّب بشدة توشك على فقدان الأمل، وفقدان الرحم وتعايش ألم المرض...

وتمر الأسابيع بين علم فوزية بحقيقة مرضها وحتى موعد تحديد العملية ثقيلة، توارت التفاصيل اليومية المعتادة وتجمدت علاقتها بزوجها حتى الكلام أقرب إلى منعدم إلا وقت مجيئه معها لعمل الأشعة وكل الفحوصات حتى موهوب خف مجيؤه إليهم وانشغل عنهم في تجهيزات

مكتبه الجديد يقضي فيه أغلب وقته هناك، ولم تلحظ فوزية كل تلك التغيرات فهي غارقة بأحزانها وآلامها ومرضها وكم الأدوية التى تتناولها تأهباً للعملية .

حبيساً وسط فوضى أفكاره ومرارة خيباته يراجع نفسه ويسترجع ما جرى وكأنما هماً واحداً لا يكفي وتتزاحم عليه كل الهموم ! تلتف حول رقبته وتتشابك خيوط المواقف السابقة مع المستجدة يكاد يختنق يكابر ويرفض أن يعترف أنه ربما كان أخطأ بشيء ويتعمق الألم بداخله ويتجدد الغضب، تتطاير الاتهامات موزعة على كل من حوله إلى كل بنت تقدم لخطبتها وأهلها وخاصة أمها وخالته وزوجها وصديقه والمارة في الطرقات! يرى أن البنات يريدن أن يتزوجن بأي طريقة ومن أي عابر شرط أن تتوفر فيه أهم صفة بالنسبة لهن وهي أن يجيد التعامل مع الفواتير وحمل الهدايا وماركات الملابس والعطور والتنقل بها بين الكافيهات والمطاعم، يمنحون أرواحهن وقلوبهن وأجسادهن لصاحب أعلي سعر، بنات سوق النخاسة, الواحدة منهن تعرض نفسها للجميع

وتذهب للأعلى قدرة على إنفاق المال، لا تدري البنت منهن نظرتي إليها، شاب لاتعرفني ولاأعرفها، بالكاد أعجبني جسدها وتخيلتها معي بغرفة النوم، وتعاملني كأني هبطت عليها من السماء وتتودد وتتجمل, وتتقشر وتتبدل, وتتحول، إنهن غبيات، أما توقفت لتتعرف عليّ من أكون ثم تسمح لشلال ابتهاجهن بالتدفق ؟ وبعدها تبدأ مراحل عدّ نفسها الزوجة المثالية لأشجع الفرسان! مساكين هؤلاء البنات

ولكن هذا جيد .. إنه يزيد شبقي كرجل أن أضبطها تتباهى بي وتشتعل الغيرة وتطفئها في نفوس غيرها من البنات اللاتي تعرفهن, وتتقدم بشخصي فائزة في السباق على بقية معارفها وذلك بصفتي الفاتح الأعظم لقلعتها المنيعة، بيد أن أركانها تتهاوى أمام علبة من الكرتون أو أكياس ملونة في واحد منها هدية متوسطة الثمن !

كل بنت خطبتها كان لها ثمن ومع أني لم أمانع في الدفع أو أتأخر إلا أن كلا منهن كانت أقل من أن أفكر بالارتباط بها، مجسمات خداعة تطفح جبنًا وأنانية ودناءة ! كلهن رخيصات, دميمات من الداخل، يقولها

وحدقة عينه تتسع شاعراً بالثقل في لسانه, ويقشعر جبهته وكأنما اعترض شيئاً بداخله سيل السباب المنصب على المخطوبات السابقات فسكت برهة وهو يفكر ، خفض بصره وتنهد بعمق وضيق أخف، وتنبسط ملامح وجهه قليلاً سانداً رأسه براحة يده ريثما تكن من هنا البداية ليروي تفاصيل المشهد على نحو أوضح...

وفوق ما يحاول موهوب زحزحته عن صدره والخروج منه ملقياً تبعات ماجرى من إخفاق وتعرض للإهانة سواء بالرفض الصريح بعد تغريمه مبالغ كبيرة من المال والضرب والطرد يمتلئ سخطاً على خالته وزوجها؛ فلم يهتموا به في ظروفه المربكة التي يمر بها متسائلاً في نفسه

– أين هي مما أنا فيه؟ وحنانها المتدفق؟ لو كانت أمي حقيقيةً ومثلها ما تركتني وأنا ضائع من نفسي كاره لكل البشر أنام على ألم وأصحو بغصة ! مستنكرا موقفها واصفاً إياه بالمتخاذل وحنانها اللزج، بلغ الغضب بموهوب مبلغاً حتى خالته التي طالما اعتبرها الأفضل والأميز من أمه

وكثيراً ما عقد المقارنات بينها وبين أمه وبكل مرة تكن النتيجة لصالح خالته فوزية...

تدمع عيناه وهو يفتش حوله في الفراغ يستجدي صدراً حنونًا وصوتًا دافئًا يهدهد خاطره المكسور ويحتوي ثائرته ويرخي الأمان على أركانه المزلزلة

فوزية تعطي ما لم تسمح ظروف أبوه من توفيره له ولأخوته وتهديه بما يعد ترفاً وفق ظروف أسرة مكونة من خمسة أفراد ،أبوه وأمه وهو وأخويه، عائلها الوحيد يعمل موظفًا له دخل محدود يكفي الاحتياجات الضرورية بالكاد

الهدايا كانت تغدق عليه دون إخوته لكونه المقرب والمتعلق بها من بينهم، فكان يمتلك ألعاباً أكثر من إخوته وملابس أيضا فلكل واحد من أخويه طقم في كل عيد وثلاث بيجامات بموسم الشتاء ومثلهم في الصيف إلا موهوب كان رف ملابسه مكتظًا تتنوع فيه كافة أنواع وألوان الملابس.

يتمدد على الكنبة وهو يستحضر صورة أمه في مخيلته والذاكرة تسترسل ونسائم السلام والطمأنينة تطوف من حوله، والدموع مستقرة بمقلتيه..

-كانت أمي من نوعية النساء اللائي لايعرفن الراحة والسكون إلا عند قدوم الليل؛ فهي طيلة النهار تتحرك تحمل أشياء وتنقل أغراضًا، تكوي ملابس وتنظف أوعية وتعد طعام، تمر على الغرف ترتب الأسِرَّة وتفتح الشبابيك للتهوية ودخول الشمس وقبيل المساء تعاود إغلاقها وفرد أغطية الأسرَّة

وتغلق أبواب الغرف لتقليل برودة أجوائها في الشتاء

كنت أظن أن ماعليه أمي هو حال بقية الأمهات إلى أن رأيت أم صديق لى أنيقة الملبس، هادئة بحديثها وخطواتها، مشرقة توزع الابتسامة على كل ما تقع عليه نظرها وكان لديها خادمة وأيضا خالتي كانت مثلها رغم أنها تقوم بنفسها بأعمال بيتها باستثناء المواسم والأعياد

تملأني الشفقة تجاه أمي، التي تواظب على التعب في صمت ، لها ثلاثة أولاد ، كنا نبدو كقبيلة تملأ البيت صخباً ولا نكف عن الشجار والشكوى والطلبات، حاضرة وسطنا وكانت تختفي عن أعيننا فقط في ساعات الليل أوبوقت القيلولة أحيانا، لتظهر من جديد وتكون هادئة مبتسمة ولكنها تعاود حركتها المعهودة، تقابل انفعال أبي الذي لاينقطع بهزة من رأسها وبصمت حاسم، لتتسلل إلى المطبخ تعد الطعام لنا رغم العلامات الظاهرة التي تفصح عن تململ وضيق والضغط الكبير الملقى عليها متسائلا بتعجب:

هل إنجاب الأولاد مسؤولية كبيرة إلي هذا الحد؟ أمي بطبيعتها هي من كانت تصَّعب كل مسألة، بسيطة في شخصها، لا تعرف إلا تعقيد أمور حياتها، وعلى نحو طالما أثار ضيقي ودهشتي، كان يرضيني في بعض الأحيان أن خالتي ليس لديها أولاد غيري!

تربية الأبناء تأكل عافية النساء, تحدث بهم فعل البراية مع قلم من الخشب؟!

لو خُيّرت خالتي بين العُقدة الثقيلة التي تحملها أختها فوق رأسها وبين حياة الراحة والرفاهية التي تعيشها أيهما ستختار؟

يقول المثل الإنجليزى: من ينجب الأبناء يذق معنى السرور ويعرف قلبه الهموم

لاأعرف ماذا كانت ستختار ولكنني لا أتخيلها تهرول يمنة ويسرة ، منهكة، ومضغوطة مثل أمي

كنت ألوذ إليهم هربًا من الصخب الدائر في بيتنا وتضَّييق أبي علينا فمن ضائقة إلى أختها تعصف بنا أواخر كل شهر وتشتد في المواسم كالأعياد وبدء الدراسة فكانت خالتي تشتري لي ملابس للعيد وتعطيني مصروفًا شبه يومي وتؤكد عليّ بألا أخبر أحدًا، فكنت أنفذ ماتقول، إلا أمي أخبرتها لأنها كانت تسألني كلما وجدت معي فكة أو شيئًا قد اشتريته من مصروفي، وتتوقع أنه من خالتي وليس من أبي لعلمها بظروفه مسبقاً فأنكرت ذلك أكثر من مرة ولما فاض بها مني الكيل، جذبتني مرة من أذني وأمرتني بألا أطلب النقود من خالتي

فدافعت عن نفسي وعرّفتها أنها هي التي تعطيني من تلقاء نفسها ولم أبح بالباقي لأن عمي عبد الفتاح هو الآخر كان يعطيني فشددت عليّ قائلة: لاتأخذ من خالتك أي شيء ثانية .. هذا لا يصح وكن مثل إخوتك لاتأخذ مصروفاً إلا مني أو من أبيك ..اشتري ماتريد مما يعطيه لك أبوك واحتمل وقت أن يمتنع، فكنت أرد عليها قائلا: هو لا يعطيني إلا القليل وأحيانا لا يعطِّيني شيئًا، نهرتني وثارت في وجهي وأخبرتني بما أعرفه وهو أنه هكذا مع أخي الأكبر عادل ومع علاء أيضا

ولاحظت تأثرها البالغ من ردي وكأنها استشعرت خيبة أمل من ظروف أبي التي دفعتني لقبول نقود من خالتي وزوجها وكانت نبرة صوتها مرتعشة تخرج الكلام ثقيلاً وهي تشرح لي الموقف وسألتني: هل رأيت عادل أو علاء يتبرم ويهرول إلى غيره ليأخذ منه شيئاً؟ .. ولم أستطع الرد وأدركت في نفسي أن ما يحدث لا يصح وأنه عيب كما وصفت

ولكي أُرضي أمي وأهدئ من تأثرها البالغ وأحرر وجهها من هذا الوجوم بعدما قلت لها أنني لن آخذ من خالتي فوزية أي شيء

ودخلت وفتحت الدولاب وجمعت كل ما اشترته لي خالتي من ملابس لردها إليها وأنا أحملهم بين ذراعي القابض على ما استطعت منها وبعضها كان يتدلى على أقدامي

تفاجئت أمي وتأملتني مستغربة وأخيرًا بالكاد تبسمت وهي تربت على ظهري وتقول بحنان:

–قصدت أن تتعلم من صغرك كيف تعيش في حدود المتاح لك وضربت على ذلك مثلاً لا أنساه

– أبوك لا يعطيني أي شيء في بعض الأحيان ولم ألبس الذهب منذ بعت شبكتني بأول شهور الزواج ورغم أني لّمحت له مرات إلى أن قلتها له صريحة، اشتري لي حلق وصمتت أمي وابتلعت ريقها بصعوبة فتوقعت أن أبي رفض وإلا لكنت رأيته يوماً بأذنها

وأردفت: وأحيانا أطلب بعض الملابس الجديدة ولكن الظروف لا تسمح فلا أكررها وأكتفي بما عندي

فقاطعتها مؤيداً لظاهر ما تقصد وأنا أهز رأسي: لم أركِ بملابس جديدة منذ فترة كبيرة!

فارتبكت أمي ومدت نظرها بعيدًا عني ولم تكمل رغم انتظاري الملح ثم طلبي بأن تكمل ولم أكن وقتها أعي موقفاً كهذا ويخفف عمن يحدثنى أو إعفاؤه من مواصلة الكلام فيما يزيد مما يؤلمه أو يتسبب بإحراجه

وبعد نفاد صبر وبصوت متهدج منها: لا أطلب ما أريد من أحد طالما ليس في الإمكان توفيره .. فأضفت مقاطعاً: وماذا تفعلين ؟

- أصبر وأنتظر حتى تتوفر مع أبيك النقود ويشتري لي ماطلبت

- وإن لم تتوفر؟

-لا أطلب من غيره حتى ولو تأكدت أنه لم يشتري لي ما أحتاجه.

وبحماس مفرط كررت عليَ ما قالت وأضافت

-لاتأخذ أو تطلب من خالتك مصروفًا وأي نقود أو ملابس ..وإن عرفت أنك طلبت منها شيئاً ساعاقبك ياموهوب .. فهمت يا موهوب؟!

تحب أن تنادينى هووبه عندما تكون راضية عني وعمر أمام الناس وموهوب وهي تعاتبني .. كنتُ موهوباً في إزعاجها على مايبدو وبالفعل رفضت أخذ المصروف من خالتي وتوقفت عن طلب أي شيء منها

وتوقعت أن وراء الأمر أمي فتأثرت وعاتبتها وهذا ما عرفت فيما بعد ولكنني امتثلت لأمر أمي أما خالتي فاستبدلت المصروف والنقود بإحضار الكثير من اللعب والحلوى لي.

شارع سيدى عواض مساءً، بمنتصف الشارع إلى اليسار يقع المحل الأول ونواة السبعة فروع الأخرى لحلويات فخري والذي آل لأحد إخواته بعد وفاة أبيهم، أما عن يمين المسجد وعلى بعد مائتي متر يقع محل عبد الفتاح المفضل إليه فقلبه معلق بمسجد سيدى عواض ويجب أداء أغلب الصلوات فيه باستثناء المرات التي يكن فيها ببيته أو بعيدًا عنه

حيث يتابع العمل بالفرعين الآخرين، طالما أحب أن يناجى ربه من داخل أروقة المسجد العتيق كعادته في خلوته ليلاً بمنزله، فهو مثل أناس كُثر يحملّون حباً عميقاً وتوقيراً هائلاً لصاحب المكان وعلى امتداد الأجيال المتعاقبة، بداخل المحل يجلس عبد الفتاح خلف مكتبه يتابع سير العمل من عمليات البيع والشراء و تدفق الزبائن بذلك الوقت من اليوم فلا تفسير في إقبال البعض على شراء الحلويات في المساء سوى أنه وقت يكون فيه ضجيج النهار قد خف قليلا وسكن لهاث الرغبات بين الضروري وماهو متاح فتنتظم وتتضح محددة أوملحة لدى البعض وخاصة من محبي تناول الحلويات الشرقية يقصدون محلات الحلويات تشاركهم مناسبة آنية وفي أوقات السمر مع حلو الأحاديث ليلاً بهدأة ومستقر بيوتهم .

بعصرية يوم يتفاجأ عبد الفتاح بها قادمة من بعيد امرأة فارعة, حلوة الطّلة تسير ببطء غير ملحوظ وإنما في تبختر لا يلحظه إلا كل أريب، تتهادى بفستان أصفر فاقع اللون مطرز بخيوط سيرما لونها أحمر متداخل مع

آخر أزرق تتمايل بخفة يمنة ويسرة، سلسلتها الذهبية هلالية الشكل يتدلى منها سلاسل رفيعة متساوية الطول فيقف في مكانه غير مصدق عينيه إنها فوزية

تتلاقى عيونهم كأنما يتعرفا على بعضهما لأول مرة

تتبسم بخجل وعيونها مكحلة تنظر له نظرة ما وفرحة غامرة تطل منهما ويهرول إليها ويمسك كفها بلطف و يضع ذراعه خلف ظهرها بحنو ويدخلها المحل وسط نظرات شفقة ممزوجة بالحرج والفرحة من العاملين الذين تنامى لعلمهم مرضها بسبب غيابها الطويل عن المجيء، ويجلّسها في مكانها المعتاد أمامه على يسار المكتب بحيث تكون أمامه وبنفس الوقت ترى هي بقية أرجاء المحل بمواجهة الباب الرئيسي مباشرة، ولم تأتِ فوزية إلى المحل اليوم وقبيل موعد العملية بأسبوع واحد فقط إلا لخوفها على حياتها، العملية ستجرى ولكن السلامة المتبقية والحقيقية في بقائها على مكسبها الوحيد على امتداد العمر، الرجل الذى يحملها بداخله في فكره وقلبه وروحه، تحاملت رغم أوجاعها الجسدية والنفسية لتظهر

على الهيئة التي تحب أن يراها بها أنثي شهية، وعفيّة، تضوي وسط بهائها وجاذبيتها

من أول الليل امتد الحديث بينهما خلال السهرة إلى الثانية صباحًا، يتعاتبوا تصافوا ولما شعر ببوادر تعب عليها أشار عليها ليدخلا غرفتها للراحة

بنبرة حانية وهي تمسك يده ..

-أنت .. أنت ..بقيت ابني ..ابني

تلمع الدموع في عيونها فيبتسم متفهماً ومستشعراً ما تقصد فيومئ برأسه يوافقها ما تقصد ويدقق النظر في عينها:

-خير وبركة يافوز ..إنت كل ما ليا .. إنت نور العين وفرحة القلب .. إنت الدنيا كلها

ويتعانقان بحرارة أمام السرير

لطيفة كأنما لمحت أحمد ماراً من أمام المحل فتوجه نظرها ناحية ولديها، قلبها يريده وعقلها يرفضه، وتتظاهر أنها لم تره وتتظاهر بالانشغال بمراجعة سجل المبيعات

ولكم تبرع النساء في تجفيف منابع مشاعرهن وتكتفي بواحدة منها، متوهمة، أن لاحيلة لها في الأمر وهي الأمومة، أما التضحية فهي تشبه الرهان إن وجهت في محلها وصحّت كانت أفضل مايكون وإلا فبئس ما اتخذ من قرار.

وعلى الرغم من ترحيبه ببقاء ولديها بحضنها ليعيشوا جميعهم معاً حال وافقت على الزواج منه إلا أنها مصرة على الرفض

توفر الحل والعقد بآن واحد..

ويدفع الباب الزجاج ويلقي التحية متحدثاً بجدية ويتظاهر بأنه يود شراء أحد الأجهزة والعيون تقول الكثير ويتلفت وهو يحاول اختيار جهاز ليسأل عنه فينظر لها

-شاشة 100 بوصة ماركة فيليبس ؟

-100بوصة؟!..فيليبس؟!..هطلبها لحضرتك .. وإن لاقيناها هجبها

-وإن ماكانتش موجوده ؟..أعمل إيه؟

فترتبك وتكتم رغبة قوية بالضحك فيما ينظر لها بلوم وولداها منشغلان بالحديث فيما بينهما والعمال بالداخل يواصلون أشغالهم

تميل على الدفتر تكتب ما طلب وهي متوترة تذوب الكلمات على شفتيها وهو أمامها ثابت لايتحرك ود لو قال ما لديه ولكن يخشى عليها من الحرج أمام المتواجدين بالمكان فيسكت مضطرًا وعينه تفصح عما به من لوعة

أثناء ذلك تأتي فيروز التي تتفاجأ بأحمد عند لطيفة بالمعرض وتلقي التحية فلا يرد أحد فتبتسم فيجد نفسه مضطراً للاستئذان وعينا لطيفة تتهرب من النظر عليه وهو يعبر الباب إلى الخارج تتأملها فيروز بشفقة و حيرة من أمرها لحجم ما تكن من حب لأحمد وترفضه وما أن تلمح

الأولاد تمشي إليهم تسلم وتجلس معهم تداعبهم ليتسنى للطيفة أن تستجمع نفسها وتهدأ..

-إزيك يا فيروز

-الحمد لله .. كنت عايزاكي معايا .. الساعة 6 فاضية؟

-لو مش فاضية أفضى ..هودي حمزة وعدنان لجدتهم وأكون عندك

وتطل على ولديها في حنان وهي مهمومة

هذا الشارع الذى يشبه عيني بئر عميقة تتحرك على صفحته جديد كل يوم، لا ينضب ولايفيض، يضيق ولا يتسع يتمدد ولا ينكمش، تكثر بقلبه الحركة وتعود لتقول، تتداخل به مختلف الأصوات وتضيء الأنوار بساعة وفي أخرى تغرق في السكون والظلام، تطوى السنوات والأعمار في كافة الاتجاهات وهو قائم بمكانه في حياد !

تهرول الأقدام ذهابا وجيئة، تمتزج أصوات أصحاب المحلات والزبائن، ينسى ما بدأ به يومه وما يختتم، يبتلع بين جنباته كل شيء، يشهد في

صمت وبين ما تشهد أروقة الشوارع التجارية همس الخواطر وبوح المشاعر وفوضى الرغبات حسية ونفسية وانفعالية !

يلتقط بعدسته المكبرة ما لا يحصى من الصور للمارين به،

ومن يدخلونه من جهة ماضون إلى الأخرى ربما لن يعودوا ثانية للمرور منه والسير فيه فيما يتدفق إليه جدد بلا توقف

يضاهي ويعكس ملمحًا مصغرًا ودقيقًا من أوجه الحياة

تلك الساقية اللاهية تدور بلا توقف...

من داخل محلها تراقب المارة بعين جاحظة تسكب ما فيها،

فيما يغيب يونس بين الزبائن داخل المحل يغطي على كلامهم حركة المارة وصوت المؤذن الذي يرفع أذان المغرب

ثلاث مرات وهي تنتبه للسائل المتسرب من حلمة ثديها الأيسر وفي كل مرة كانت تستبعد أن يكون ما خافت منه وقامت بالربط بين هذا وما

كان قبل سنوات ولاتنساه، كانت تكتفي بدفع الخاطر المزعج وتبديل حمالة الصدر بأخرى نظيفة بدلا من التي لطخها السائل الأصفر الممزوج بحمرة ورائحته المزعجة، وتمضي مستغرقة في مشاغلها وأمور حياتها إلى أن تحسست الخطر بأطراف أصابعها كان مجعداً فاقدًا المرونة والطراوة فابتلعت ريقها وهي تراها مائلة ومتوارية للداخل فارتدت ملابسها كاملة ونزلت متوجهة إلى طبيبة النساء في برج الشفاء، وهناك أخبرتها الطبيبة بأن تلك الأعراض غير مطمئنة وأخذت عينة من ثديها وفحصتها بأشعة الهولوجرام وكانت النتيجة ورم غير حميد بالثدى الأيسر وأخبرتها بألا تخاف وأنه يمكن محاصرة الورم من التمدد بالعلاج على مراحل إلى بلوغ الشفاء ولكن فيروز أصرت على أن تعيش!

وسط ذهول الطبيبة للحد الذى جعلها تستنكر أن تقوم بهذا الفعل ولكنها أصرت وبالفعل قررت أن تحاصر المرض في مهده استئصال الثدي بالكامل لأن الورم بحجم ثلاث حبات العدس، صغار في أعلى الصدر إلى الجانب وفى المنتصف بجوار الحلمة، وبدلا من أن تتبع

التعليمات، وتخضع لمراحل العلاج رفضت وقدمت أوراقها والفحوصات والأشعة لمركز علاج الأورام بمركز عافية وتمت العملية وتخلصت من العدو المتربص بها حسب ما ترى؛ حيث تعتبر أنه كان يتحتم عليها أن تختار الحياة أم ثدي يختبيء فيه موت بطيء ومحقق، يمتص منها رحيق الحياة ببطء

ولأنها فقدت عكازيها مبكراً ووجدت نفسها بلا أم وبلا أب في مقتبل العمر فتعلمت وهي تتجرع الألم أن تتخذ من ذاتها رفيقًا وداعمًا وحافزًا ومعينًا...

واعتادت أن تكون أول داعم لنفسها، تفكر وتقرر لنفسها ما يناسبها وتدبر ما يلزمها وهاهي تواجه المرض وتبكي نفسها!

توقعت فيروز من عوارضه أن ترثه بحكم جيناتها فقد كانت أمها مصابة بأورام غير حميدة بالرحم وخافت من إجراء العملية وظلت تعاني بشدة خلال مراحل العلاج الكيميائي والإشعاعي والهرموني وفي النهاية ماتت ولم تشفَ منه ومؤكد أن هذا السبب هو ما دفعها لتقبل المرض وتقرر

إزاحة ثديها بالمرض قبل أن يذهب بها هي الأخرى، تكتمت الأمر ولم تخبر جدتها بتاتاً، كانت الفترة التي سبقت إجراء العملية هي الأقسى عليها؛ فقد كانت تقف أمام المرآة بنصف جسد عارٍ بعد أن تخلع ملابسها الفوقانية وتنظر لنفسها، تضرب شطآنها موجات قوية من مشاعر متضاربة لا تدري هل تطمئن أنها ستنقذ نفسها من المجهول أم تأسى لحال جسدها بعد اقتلاع إحدى جوهرتيه المستقران في إباء بمقدمة قوامها المرمري اللامع، تدفع خاطر ويتولد غيره وتهرب من شعور فيحاصرها آخر، ضعفت وجلست على طرف سريرها وظلت تبكي بحرقة مشفقة على نفسها، وكأنها في كابوس وأن أياً مما يحدث ليس حقيقياً...

ارتدت ملابسها وطلت برأسها من جانب باب غرفة نومها فلم تستشعر وجود جدتها في الصالة فخرجت بأريحية إلى الحمام غسلت وجهها وفكرت أن تنتظرها لتتحدث معها قليلاً كعادتها قبل النوم ولكنها شعرت بتعب يسري بجسدها فدخلت غرفتها وأغلقت النور، واستسلمت للنوم

غفت قليلا، ثم تتنبه بعد لحظات وتجلس بمكانها وهي تردد في نفسها غير مصدقة

-أمي؟..رأيت أمي!

وفتحت كل عينيها وهي تستجمع نفسها وتمسك بتلابيب الوعي لتسترجع ما رأت وتنظر بحيرة وتوجس

-أمي تقول لي "لاتخافي ستكونين بخير "

تتأرجح مشاعرها بين التصديق بالسكينة وبين الإنكار الممزوج بشيء من الخوف قائلة في نفسها هازئة

- سأموت مثلا! ..إنها المرة الأولى التي أحلم بأمي منذ توفيت من سنوات! ..تشعر بالضيق في أنها رأت أمها وهي بهذا الظرف الحرج وتغرق في حيرة كبيرة، ليس غريباً أن تعتريها مختلف المشاعر المتناقضة فأمام الغرائز الأصيلة كجزء من طبيعة كل إنسان تتوارى

العاطفة ولو بقدر ما، مهما كان نوعها ودرجتها أمام حب البقاء كأسمى الغرائز وأقواها.

34

وفور خروجهم من العيادة تحاول إقناعها بالعدول عن العملية وهي تحاول تجاوز صدمتها حول مرض فيروز، محطمة الفؤاد وذهنها مشتت واتزانها يترنح وما إن جلسا بأقرب كافية على بعد أمتار من المبنى الواقع به عيادة طبيبة فيروز التي يتضح لها من حديثهم أنها علي علم بحقيقة ما أصابها وتتردد عليها من فترة طويلة تمتد لما قبل معرفة بعضهم ببعض

وتمر لحظات وهما يجلسان قبالة بعضهما بدون كلام فيما لم تستطع لطيفة الكتمان فتبكي بحرقة ونظراتها ثائرة تتأمل فيروز مشفقة ومستاءة أما فيروز صامتة، نظراتها تائهة بشرة وجهها شاحبة، تشبه شجرة أغصانها قد نفضت أوراقها بالكامل، وتزحف بضع دقائق ثقيلة,

مردفة وهي تحاول توضيح وجهة نظرها للطيفة التي تستنكر إصرارها بالخضوع للعملية:

– ممكن أموت متكهربة وأنا بضبط المكنة وزبونة مستعجلة على شغل، أو من كاتل الشاي ..أو بحادثة وأنا بعدي شارع .. كنت سليمة ومش حاسة بأي نعمة عندي

ويوقفها اجهاش لطيفة بالبكاء وهى تضع كفها علي فمها فتقوم فيروز من مكانها تهدئها وتربت على كتفها وكادت تنسى وتحتضنها ولكنها تراجعت ولاحظت لطيفة هذا فتأثرت و لم تتمالك فيروز نفسها فبكت وهى منحنية على وضعيتها في احتضان لطيفة، وجلست لطيفة مكانها ودارت بها الدنيا

–عارفة يا فيروز

وتبتلع ريقها وترى أن محاولة امتداح صلابة وقوة فيروز ضرب من السخف والسذاجة فابتلعت دموعها وقالت بامتنان ومحبة عميقة

–تعالي نروح نصلي ركعتين شكر لله انى عرفتك .. أنا اللي عيانة وأنتي السليمة .. مش بقولك كده وخلاص.. لا .. لا أنا بحس معاكي إنى مطمنة وإن الدنيا فيها خير.. أنا بحبك أوى يا فيروز.

ومن بعد علمها بالأمر أصبحت تذهب إلى فيروز

كل يوم بالأتيليه وإن لم تستطع فتحدثها بالتليفون فيما تحينت فيروز الفرصة لاخبار لطيفة بشأن ما حلمت به إلا أنها لم تستطع لازدحام الأتيليه، وفي المساء اتصلت بها وقصت عليها ما رأت فأخبرتها لطيفة أنها ربما رؤيا وأن روح والدتها قلقة بشأنها وتتمنى أن تتطمئن عليها، فبكت فيروز وكانت تود لو أن أمها مازالت حية لتكون بجوارها في محنتها وترتمى في حضنها تلتمس الدفء والأمان والطمأنينة وتلقى الرعاية، فتبكي لطيفة لبكائها ولاتتركها إلا بعد أن تخفف عنها

ولم يخلُ حديثهما الطويل من سيرة الحب وتتنهد لطيفة شوقاً لأحمد وسط ضحكات فيروز التي تردد على مسامعها مستنكرة موقفها الرافض لأحمد في الوقت الذى تشتاق فيه إليه

-ياعيني على اللي حب ولا طالشي!

وتقاطعها لطيفة بتأثر مفتعل هازئة

- ليس كل ما نريده يناسبنا ولا ماياسبنا يسعدنا

-فزورة قبل النوم يالولو؟! ..تضحكان وتنهي المكالمة.

*****

بعدما فقدت ثديها اتضح لها واكتشفت أن التقرير الخاص حول حالتها وتشخيصها مريضة بسرطان الثدي كان خاطئاً وأنها سليمة! شادية دلوعة السينما والتي أمتعتنا بأروع الأفلام التي تعشش في وجداننا وتطرب بصوتها أرواحنا، صوت مصر الآمن الدافيء البهيج كوجه مصر وقلب أهلها، ورغم أن العملية أجريت في أمريكا قلعة العلم ورمز التفوق في كل المجالات ولاسيما الطب وآليات وأجهزة الفحص والتحاليل والأشعة وما لديها من كوادر طبية إلا أن ماحدث قد وقع وكان، مسكينة كل امرأة تختبر في مظاهر أنوثتها فتجد نفسها تحمل عناوين من كيانها

وأسباب استمرارها علي قيد الحياة، إنه صراع مرير حامي الوطيس إما أن تموت وإما أن يقتطع جزء غالٍ على كل امرأة، لحظتها يتخذ فيها العقل القرار ولو قدر للعواطف أن تتخذ القرار لمات الملايين من النساء كل عام؛ فالمرض اللعين يصيب نسبة مخيفة من بينهن؛ فبحسب الإحصاءات العالمية: واحدة من بين ثمانية نساء تكون معرضة للإصابة، المرض يصرع مناهل الأنوثة، ويسكت صوت العواطف وأمام قوة الحياة ينكسر حب البقاء والتمسك باستمرار الحضور في العرض المستمر وسط أجواء مربكة وزوايا معتمة وأخرى مضيئة، مع تحدٍ لاينتهي، سرعة متلاحقة بين ظلمة وغموض ورهبة الليل وبين بسطة الأمل في عين النهار ودفقات الأماني والتطلعات في النفوس

القوة الداخلية هي حائط الصد ضد مختلف التحديات

فما من إنسان قوي من الداخل يهزم تماماً

وإن كانت فيروز قد قدمت واحداً من ثدييها لتنجو بحياتها فغيرها تم اقتلاع وتقطيع الاثنين ويقال أنها الحلمات فقط وزينت بهم أطباق أم علي الشهيرة!

لو تعلم شجرة الدر سلطانة مصر لمدة شهرين ما سيجري لها لاندري ماذا كانت ستختار؟ ولكن جميعنا ماضٍ باتجاه أقداره.

انفردت بها ضرتها ونسوة من الخدم فقتلوها شر قتلة بضربها بالقباقيب الخشبية حتى ماتت وألقوا جثمانها في خرابة وظلت لأيام ملقاة والناس خائفون من الاقتراب إلا رجل رشيد عاونه أخرون وقاموا بإكرامها بالدفن بعد تجهيزها والصلاة عليها في الضريح الذي أسسته لنفسها ملحق بمسجد باسمها!

ماتت السلطانة بلا ثدي لعل نار الغيرة هدأت وقتها في قلب أم علي!

الوصفة السحرية التي طبقها موهوب حرفياً والتي يوصي بها كبار المفكرين والفلاسفة: يجب عليك أن تشتت نفسك لتعيش لحظات بعيدة عن مواجهة الواقع فكثيراً من الواقع لا يمكن احتماله ...

عمر حسين أبو السعود.. يافطة تتصدر واجهة مكتب الاستشارات الهندسية الخاص به، يقضي فيه جُلّ وقته، يركن فيه لساعات طوال، يستقبل ويتعاقد مع العملاء، لا يجد وقتاً يفكر فيه بأي شيء آخر يغرق نفسه في العمل هارباً من متاعبه وفي آخر الليل يعود ليتناول عشاءه وينام وهو يشاهد التلفزيون ليبدأ كل هذا السعي من جديد باليوم التالي، أما يوم الجمعة يقابل فاروق في المساء، يتسامرون ويمزحون، أقوى رابط بأحد لديه هو صداقته بفاروق، وانقطع عن زيارة خالته وزوجها من مدة حتى أنه صار يبيت في شقته الجديدة التي اشتراها بعد عودته من السفر لكي يتزوج فيها أما عن شقتهم القديمة فإنه لا يحتمل حشد الذكريات التي تحاصره يكاد أن يختنق بينها من وحدته بلا أمه وأبيه وإخوته وعمر مضى بلا رجعة، كما أنه لايرغب في رؤية فوزية!

أجابت فوزية على الأسئلة التي وجهتها إليها السكرتيرة لاستكمال ملفها وفق النظام المتبع في المركز الطبي المملوك للدكتور موسى صبري دكتور النساء والتوليد الشهير، وهو ضيف مفضل على برامج الفضائيات التي تقدم محتوى للعائلة وخاصة مايهم المرأة، أصرت فوزية أن تذهب إليه ليتولى متابعة حالتها، ولم يمانع عبد الفتاح مهما كلفه الأمر، فالطبيب إن كان مشهوراً فأجره سيكون مرتفعاً أما لو كان من الأطباء النجوم النزلاء على فقرة صحة المرأة و الطفل بالبرامج فإن أجره سيكون فلكياً ! ولادخل في الأمر بمستوى المهارة وحجم الخبرة؛ فالشهرة إما ضربة حظ أورحلة كفاح طويلة، لتتصدر مكانة مستحقة، وتنادي سكرتيرة الطبيب:

–مدام فوزية

–نعم

–اتفضلى ..دورك

تنكمش على نفسها وتستشعر رهبة بداخلها ،تبتلع ريقها بصعوبة بالغة ويتبدل حالها عما قبل وهي التي كانت في الانتظار تقلب الوجوه بعينها، تفحصهم وتخمن قصة كل واحدة منهم وسبب مجيئها! يربت عبد الفتاح على كتفها وهو يقف بجانبها، ويتوجهوا إلى غرفة الكشف.

وما أن تقع عينا فوزية على الطبيب الجالس خلف مكتبه، تنظر له بتوتر، مشفقة على نفسها فاستقبلها الطبيب بابتسامة ودودة وهو يرحب بهما

وهو ينظر في الملف

-سلامتك ..يا مدام فوزية

- الله يسلمك يادكتور ..

يراجع التقرير المتضمن نتائج الفحوصات والتحاليل والأشعة التي أشار لها بالقيام بها بأول زيارة لها، ينظر عبد الرازق بطرف عينه على فوزية التي غابت في مخاوفها وهواجسها ،لاترمش، تراقب يد الدكتور وحركة

عينه؛ تنتظر أن يرفع نظره عن الورق ليخبرها بما لا تقبله وتظل لبقية عمرها تحاول تجاوزه ولكنها بدت صامدة ، ينظر في عينها برهة وكأنه يقرأ فوزية! ..وبلا مقدمات ..

– انتي جيتِ في الوقت المناسب ..وإلا كنتِ هتموتِ

تتلقف فوزية ما سمعت وتنتفض في مكانها وتلتفت لعبد الفتاح مذعورة فيقوم من مكانه ويقوم باحتضانها فتدس رأسها في صدره وهى جالسة وينظر للدكتور بعتاب واستنكار والآسي يملؤه ويود لو قال له: ترفق بها.. اسكت .. لمَ قلت لها ما قلت؟!

ولكن كلاهما لم يعقب

الدكتور يواصل حديثه متجاوزاً ما بدا عليهما من خوف واضطراب

–ها .. هنعمل العملية والا مش عايزة ؟؟

–هااعملها يادكتور ..هااعملها

و يداخل صوتها البكاء؛ فينظر في أوراقه ثانية وهو يومئ بالتأكيد على ما تفضي إليه الفحوصات والأشعة حول حالتها المتأخرة

ويسحب ورقة من على مكتبه ويقدمها لعبد الرازق:

-توقيع حضرتك على الإقرار ..علشان أحدد ميعاد العملية

فينظر لفوزية يطمئنها ويوقع بالموافقة على إجراء عملية استئصال الرحم بالكامل...

ويخبرهم بيوم العملية ويكتب لها على أدوية للتحضير وتهيئة الجسم للقادم ..

وطوال الطريق وهما صامتين عبدالفتاح يقود السيارة وبجواره فوزية والدنيا أمام عينيهما ضيقة كثقب إبرة، تدور رأسها بين أسراب الخواطر والتخيلات فيما يتجنب هو الحديث معها حتى لايحرك ثورتها المشتعلة بداخلها...

في اليوم التالي هدأت نفس فوزية مقارنة بأمس، وتمسكت بحقها في الدفاع عن حياتها متخذة القرار الوحيد والأكيد أمامها و حديثها مع زوجها وتأيدها فيه والطريقة التي استخدمها الطبيب المعالج لها بخصوص حالتها ومدى حاجتها لإجراء العملية.

سَمحت مساحة العشم بينهما لتلك النبرة الجافة التي تحدث بها وهو يعاتبه، ينصت إليه وبإمائة من رأسه, يجلسان سوياً بمحل الحلويات ولم يقرب يده إلى فنجان القهوة أو لفائف الكنافة المحشوة بالكريمة البيضاء التي يُعرف عنه أنه يحبها، وكرر تساؤله لماذا تركتموني بمفردي في محنتي؟! وسكت منتظراً الرد من عبد الفتاح الذي تخطى كل ما سبق بأسى

– كده متسألش على خالتك في عياها؟

يتفاجأ، ولكنه لايتأثر، يظن أنها حجة منه لرفع الحرج عنهما بعد تخليهما عنه ولما وجده لم يهتم وسكت يحول الحديث إلى ما يهمه ويخصه

-الجواز نصيب وحظوظ .. بكرة تلاقي بنت الحلال اللي تستاهلك ..

وينقطع حبل الكلام بينهما وتتباعد نظرات العيون، عبد الفتاح يتابع حركة العمل فيما يحدق موهوب أمامه في الفراغ

فلا يجد عبد الفتاح بدأ في إخباره بحالة خالته؛ فتجمد في مكانه لايدرى ماذا يفعل؟ ويغادره وكتفيه مقوسا ليغيب وسط المارة في الشارع

بعد ربع ساعة كان قد وصل، فيدق جرس الباب ولما التفت تقع عيناه على شقتهم؛ فيغمره الحنين

وما أن تفتح فوزية الباب حتى ينحني على يدها يقبلها والدموع تتساقط من عينيه ويظل يعتذر لها حتى تدفعه في صدره ليتوقف وهي تحبس دموعها هي الأخرى

ويشكو حاله وكيف كان يظن أنه سيؤسس أسرة ويكون له زوجة وبيت وأنه لم يرتاح منذ أن عاد من سفره الطويل، ويخبرها بما تعرض له من تجريح وإهانة في مشوار البحث عن عروس!

ورغم ما لاقاه فهو مازال بطوله وحيداً، وقد أخفق في أن يكون له بيت مثل بقية الناس، وفقد الرغبة في الزواج ولن يدخل بيت أحد ثانية ليطلب يد بنت، مؤجلاً مسألة الزواج إلى أجل غير مسمى؛ تتأثر وتستشعر كم بالغت في غضبها عليه واتهامها له بالتقصير في حقها ويأتي عبد الفتاح بعد ساعة من مجيء موهوب، ويتظاهر أنه تفاجأ بوجوده فيحتضنه خاصة وعلامات التأثر والبكاء بادية على ملامح وجهه ويقترب من فوزية ويقبل رأسها وهو يسلم عليها، ثم يدخل المطبخ ويعود وهو يحمل صينية كبيرة عليها طبق فاكهة و دورق زجاجي وثلاثة أكواب، ويصب فيها العصير ويمتد بهم الوقت في جوٍ صافٍ رائقٍ بعدما اتضحت الأسباب وسقطت الحجُب فتبخرت الغصة وتصافيا وأصبح كلاهما يحمل هم الثاني فوزية مشفقة عليه وهو قلق وخائف عليها.

بعد أربعة أسابيع تمت العملية، تتعافى ببطء، يهدأ الألم تدريجياً مع المسكنات والأدوية، هناك أثر لشقٍ عرضي طوله بضع سنتيمترات، مازال ليناً مغطى بالقطن والشاش العريض ولاصقات وأربطة حرة غير

مشدودة تلتف من أسفل إبطها الأيسر إلي أعلى كتفها الأيمن, تداوم على المتابعة بمركز عافية كل أسبوعين وكلما طرأ جديد تقصد المستشفى بلحظتها ما جعلها متماسكة وسط تفاصيل ثقيلة على نفسها وتفاجأت ببعضها، حيث إنها افتدت نفسها وحياتها بثدي يمثل بؤرة لنشر المرض الخبيث إلى بقية جسدها ليقضي عليها في النهاية فتلحق بأمها، لولا مالديها من سبب قوي مثل حالتها، حالة الوتد الذى يثبتها بالأرض لكانت مضاعفات المرض تصاعدت لاسيما تحت وطأة الحالة النفسية.

وحدها الجدة ساجدة لله في غرفتها، متأثرة ملتاعة:

-استغفر الله العظيم .. ليه بس كده يارب؟.. دى صغيرة

..ولسه متجوزتش .. سبحانك ..يمكن فيه حكمة؟!

الجدة فى ركن الصلاة المخصص بغرفتها، وهى ساجدة لله عقب صلاتها.. تدعو بتضرع وصوتها مشروخ من كثرة البكاء.

–وحياة حبيبك محمد تشفي فيروز وتطمني عليها، تبتلع ريقها ودموعها تنساب على خديها

– دى غلبانة والنبى .. والنبى !..

اللي تعب و ابتلي و صبر و اتأذى ..

وبلحظة خاطفة من الوجد العميق الشجي

–آه ياحبيب الرحمن يا محمد .. وحياة حبيبك يارب اشفِ حبيبتى

وتمسح بكفيها على وجهها وصدرها وتطوي سجادتها وتضعها مكانها، وتخرج من الغرفة مباشرة إلى المطبخ وتطفئ النار عن الأكل وتبدأ في الغَرف وهى تنادي علي فيروز, تجلسان أمام التلفزيون بعد الانتهاء من تناول العشاء كعادتها من كل يوم.

أثناء ماهي برفقة لطيفة للذهاب إلى المستشفى في موعد المتابعة يعترض طريقهما هاني الذى يستشعر الحرج من ظهوره أمامهم فجأة؛ فينظر بتودد إليهما ومتلمساً العذر من لطيفة هي الأخرى وهو يعتذر ويقول ما

يريده مباشرة وبلا أي مقدمات ويجدد طلبه الزواج منها ولا يمهلها لترد فيسألها بتعجب وفضول عن سبب رفضها للارتباط به!

فلا تجد فيروز رداً وسط دهشة لطيفة وتبسمها وهي تراقب عيونها المليئة بالحيرة والقلق

وتتذكر أحمد؛ يجتاحها شعور باللوعة والمرارة، وتعكس نظرات عين هاني وهو ينتظر ردها غرامه بها ونية راسخة ليرتبط بها وتلمس هذا فيروز بوضوح حتى أنها ترتبك وتتبدل نظرة عينها ونبرة صوتها وهي تستأذن منه لتخبره بأنها بصدد موعد لمسألة ملحة ولا تريد أن تتأخر ويفسح لها المجال لتمر منتشياً بنسمة أمل وتلمع عيناه ويمضي كل في اتجاه، يلتفت ناحيتها وهي مبتسمة بعد تفكير وربط أمر آخر يتعلق بعملية فيروز

– ابن حلال أوي .. بيحبك يا زوزا

–الدكتور زي الجاموسة

فيضحك موهوب، أما عبد الفتاح فيبتسم ويتفهم السبب

–تصور يا موهوب ..قاللى: تموتي والا تعملي العملية؟ بالذمة دا دكتور؟ دا لو بيعالج حمير مش هيعمل كده!

فيضحك عبد الفتاح ويقوم من مكانه ويجلس بجوارها لما لمس حشرجة بصوتها

–يافوز أقسم بالله الدكتور ده جدع

–هتقولي كده تانـي !.. اسكت يا عبده ..اسكت

– الدكتور خايف عليكِ يا خالتي .. لو ناقشك كنتِ ممكن تأجلي

–كانت رافضة ياسيدي

فوزية: العمر واحد والرب واحد

عبدالفتاح: اعقلها وتوكل ..

–صحتك أهم من أي حاجة يا خالتي، صحتك .. أنت وحياتك بالدنيا .. ربنا يخليكِ لينا ياشمعة حياتنا المنورة

ويقوم من مكانه ويقبل رأسها ويديها

عبد الرزاق: إن شاء الله العملية يوم التلات الجاي

بدوره وبطريقته دفع فوزية للإسراع في إجراء العملية ثم جاء دورهما, ونجحا الاثنان في تهيئتها وتخفيف الأمر عليها وأصبحت متأهبة ومقبلة على تجاوز الأمر ..

حقاً الأسرة كنز المرء المخفي لاتتجلى قيمته الحقيقية إلا في الأزمات وإلا فقدت معني وجودها.

جلس عبد الفتاح باكياً علي دس جزء من زوجته في التراب، غير مصدقٍ لما يحدث، وما نفذ من القيام به من لحظات إنه لموقف رهيب أن يدفن جزءًا منها، فيما هي غائبة عن الوعي على سرير بالمستشفي، وكان هذا بطلب منها

لايستطيع أن يقاوم مشاعره فتسيل الدموع على خديه تبلل وجهه وقدماه ثقيلتان تنقل خطواه بصعوبة

لم يعد إلى المستشفى مباشرة، فهو لايريد أن تراه على هذه الحال، فيتوجه إلى البيت ليستريح وهناك يطلق العنان لمشاعره ودموعه، ولما لمح موهوب ضوء الشقة يبادر بدق الجرس، ولأول مرة يدخل شقة خالته وهي غير موجودة بها

ويفتح له عبد الفتاح وآثار الحزن ظاهرة على هيئته، قامته منحنية وعيونه متورمة، يتمدد الأسى على قسمات وجهه

ويتطلع فيه بشفقة ودهشة أيضا خاصة وأنهما كانا هناك معاً منذ ساعات الصباح وكان متماسكاً

فيحاول طمأنته بأنها ستكون بخير وستتعافي قريباً

فيومئ برأسه ويتمتم بتضرع وهو يدعو لها بالشفاء

-مالك ياعمي؟

يبتلع ريقه بغصة ويفتح قلبه لموهوب ويسترسل في بوحه ليزيح كومة من الهم عن صدره

-صعبانة عليا .. صعبانة عليا أوي

أنا لو بخلف كان زماني عندى أكبر منك .. بس ربنا أراد إني مخلفش ..

فيستغرب موهوب ويتذكر حينما ضربته أمه لأنه سأل عن أين هم أولاد خالته ومن يومها كف عن السؤال عنهم لأنهم لن يأتوا أبدا .. ومن وقتها يتعامل معهم على أنهم أناس بلا أولاد, الأن فقط عرف موهوب السبب وإن كان لايفرق، فالحال واحد، كما علم بتلك اللحظة تفاصيل أخرى يسترسل بإظهارها عبد الفتاح، في أنه خيرها بين البقاء معه وبين أن تذهب ويفترقا في حال أرادت وتمسكت بأن تنجب ويكون لها أبناء، ولكن خالتي رضيت وبقيت معه، بجهد كبير يخفي استغرابه وتعجبه مما سمع ويحاول التخفيف عنه بجمل غير مقتنع هو بها ولكنه قالها، ولكنها لم تجدِ مع عبد الفتاح

الذى استنكر أن ينسب للنصيب أمورًا هامة في الحياة

-لا ..لا يا موهوب مش أنت اللى تقول كده!

أنت بنى آدم واعي وفاهم ..كل واحد فينا بيختار طريقه ..آه بتدخل الظروف لكن أنت بتختار تغييرها أو تستسلم

-فيه ظروف أقوى منا

- غيرها أو بسببها توجه دفتك لكن لا تقول ده نصيبي! نصيبك بإيدك .. أما القدر فحاجة تانية وده بتاع ربنا.

كعاشقين يتنزهان، تسير فوزية بجواره وهوممسك بيدها وباليد الأخرى تستند إلى عكاز من المعدن تخطو ببطء على العشب الصناعي في الردهة المخصصة كجزء أصيل من العلاج الموصى به للمرضى الذين يخضعون لعمليات جراحية بأى درجة ومستوى، حرجة كانت أو بسيطة أومتوسطة؛ فالحركة جزء أصيل من مرحلة التعافي عقب كل جراحة

قضت أسبوعين بالمستشفى، تسير لمدة نصف ساعة كل يوم ، تتحسن حالتها وتتعافى علاقتها بزوجها وتلتحم أواصر المحبة والود بينهما من جديد

صباح السبت في الشهر الرابع عشر من فترة خضوعها للعلاج والمتابعة في المستشفى والتى اقتربت من التعافي التام، ارتدت ملابسها وتوجهت إلى المستشفى مبكراً تحسبا لظروف الأطباء المنشغلين بالإشراف ومتابعة حالات كثر غيرها، فيما تريد العودة في ميعاد العمل لكثرة ما ترتبط به من مواعيد تسليم مع زبائن الأتيليه، رفعت طرف شال كريمي مفرغ على شكل وردات والذي يلازمها بعد العملية ترخيه على كتفها يتدلى على صدرها بمكان الثدي الفارغ، مرتدية فستان تركواز من الصوف كاروهات وحزام عريض نحاسي وبوط بني اللون وحقيبة يد ذهبية بسلسلة معدنية، سارت بمحاذاة السور الخارجي للمستشفى بخطى متوسطة متأنية تلحق بها خطى من على مسافة يلحظ صاحبها القوام الأنثوي المثير والأناقة الواضحة في ملبسها كما جذبه الجزء الظاهر من سمانة قدميها، مدورة

ممتلئة قليلا، بشرة فاتحة يبدو جلدها ناعماً أملس، هكذا حكم من خلال جزء بسيط ظاهر ما بين حرف البوط وثنية ذيل فستانها، لما اقتربت من البوابة دخلت مباشرة بينما هو نسي أمر من كان يتفحص تفاصيلها ويدخل هو الأخر بخطى مسرعة، فيمر بجوارها يلمح بطرف عينه وجهها ويميل للخلف قليلا ليرى وجهها كاملاً فتلمع عينه ويبتسم ثم ينظر أمامه في جدية ويندفع إلى الجهة التي بها غرفة خالته فوزية ..

بدأت تتخلّف عن المجيء معها بسبب انشغالها مع أولادها عقب وفاة حماتها المفاجئة، فتذهب فيروز للمتابعة وحدها وسط دعوات الجدة التي تحاول بيع قطعة أرض تمتلكها لتؤمن بها مستقبل حفيدتها، وتدير وجهها عن هاني عندما رأته وهي ذاهبة إلى الأتيليه للمساعدة في إدارته مع فيروز، تملؤها الحسرة عليها والخوف من القادم، وقد تبدلت الظروف فتخشى أن يرفضها إن عرف بما جد، ويحز في نفسها أنها قد لن تتزوج منه أو من غيره فتدفع عنها مخاوفها وهواجسها وتحمد الله أنها نجت من

العملية ومع الوقت بدأت تستعيد نضارتها وندي الشباب في جسدها البض، مكتفية بأنها بصحة جيدة

ماهذه الصدفة ؟! يقولها وهو يسرع الخطى باتجاهها يريد أن يقبض عليها وكأنها ستطير؛ فيدنو منها ويفتعل حديثاً

-صباح الخير

-صباح النور

-حضرتك ممرضة؟

-ممرضة !.. لأ

-أمال إيه ؟

فتضحك ولاترد وتهم بتركه في الاستراحة وسط بقية الموجودين لكنه يستوقفها بتقديم نفسه إليها

-موهوب ..

فتكتم الضحكة وتمضي بخطى جادة فيلحق بها وهو يستشعر في نفسه أنها لا تمانع في أن يتعرف عليها، فيتبعها وعينها لا يتأمل فيها، كل همه أن يلحقها وعلى الفور يكمل تقديم نفسه إليها ما أن توقفت بمكانها والابتسامة ترتسم على شفتيها الوردية، وانتِ؟

– اسمى فيروز

–مكنوش عارفين يسموكي وردة ؟!..

–أصل كنت طفل زنان والعصرية بعد الشغل ساعات كان يحب يقعد في البلكونة بكوباية الشاي بالنعناع ويسمعها ويحلو لي الزن فيقوم ضاربني ..إنما ماما كانت حنينة أوي معايا وبتاخدنى بالمسايسة كنت أصغر أولادها وكده .. كانت بتحب تسمع لوردة

–أغيره ؟!

–فيرد عليها بابتسامة وهو يهز رأسه بالنفي وقدأسره منها رقة ردها ونبرة صوتها الدافئة ونظرة عينها الحالمة، أثناء ذلك تمر بجوارهما الممرضات

فيلتفت بتلقائية عليهم ليرى من خلفهم عبد الفتاح قادماً فيقف في مكانه وفيروز أيضا تتوتر فتقف هي الأخرى بلاقصد وتظنه والده ولما تسأله يجيبها بأنه مثل والده ولما يقترب منهما عبد الغفار يسأله موهوب عن خالته ويطمئنه ثم يتنبه لكونه قد فاته تعريفهما ببعض فيقدم لها عبد الفتاح فتحييه برقة، ولما يأتي دورها تقدم هي نفسها فيرحب بها وهو يتطلع بملامح وجهها البريئة بإعجاب وود، ويعقب موهوب علي رده بخصوص خالته

-الدكتور قاللي إنها هتخرج على آخر الأسبوع الجاي ..

-عرفت ..الحمد لله ..

-ربنا يخليكم لبعض ياعمي

فيؤمن عبد الفتاح على الدعاء ويستأذن منهم ويتجول بمفرده بناحية داخل حديقة المستشفى، وتعرف فيروز أن عبد الفتاح هو زوج خالة موهوب ويضيف من جانبه أنه مهندس وغير متزوج وتقطع

الحديث وتتركه وتغيب داخل أروقة المستشفى لموعد المتابعة الخاص بها، تاركة موهوب يتخبط في أفكاره للمرة الرابعة لايكتمل حديثهما كما يود وتتجدد بداخله اللهفة عليها، منجذباً إليها يريد أن يواصل ما بدأ

خاطره مشغول بها، تتراءى له ملامح وجهها وهيئتها وهي تمشي، وهي تضحك، وهي تنصت إليه وابتسامتها تشرق فوق شفتيها، يجد نفسه مشغولاً بها وتدور حولها خواطره وأفكاره، يستفزه كثرة ما يسترجعه لكل ما جرى بينهما وصدى صوتها يتردد بداخله، يطرد الفكرة ويذهب للجلوس في المساء مع عبد الفتاح في المحل ويرى ثمار أنثوية من مختلف الأعمار تدخل المحل وغيرها تقطع الشارع من أمام المحل، يراقبهن بطرف عينه، يضعف للحظات ثم يتماسك وسط ضحك عبد الفتاح الذي يشعر به ويتوقع ما يفعله طيلة الجلسة التي استمرت ساعتين كاملتين.

في الصباح الباكر استيقظ من نومه وتأهب للذهاب لزيارة خالته بالمستشفى علماً بأن مواعيد الزيارة لم تكن قبيل الظهيرة وحتى أول المساء! ولكنه يشتاق لرؤية فيروز، فيختار من دولابه أشيك ملابسه

ويرش عطره المفضل، وينزل بعد تناول فطوره يستقل سيارته ويتجه إلى المستشفى وصدره يمتلئ بالسرور والطمأنية، وفيروز لم تأتِ بعد هكذا يظن ولكنها بالداخل تخضع لجلسة علاج ما بعد استئصال ثديها، ليلة أمس لم تنم جيداً إذ هاجت عليها الهواجس والمخاوف، إنها تستشعر إعجاب موهوب بها، وتخشى من تطور معرفتهم، ماذا هي فاعلة إن .. فتطرد الفكرة وتضبط ملابسها بعد انتهاء الجلسة وتغادر المبني وتلمح موهوب ينتظرها عند الاستراحة ولكنها تختبيء منه وتخرج إلى الشارع

تدخل في ليلتها الرابعة لم تذق طعم النوم تتقلب على أشواك فهى الأخرى تجده يطغى على فكرها وتشتاق لرؤيته ولما ذهبت خصيصاً لرؤيته في اليوم التالي رغم أنه ليس موعد جلستها إلا إنها لاتجده فتعود متضايقة ومزاجها مضطرب وتحاول تجاوز الأمر وطرح كل التفاصيل.

حان وقت خروج فوزية من المستشفى بعد أن استقرت حالتها تتجهز بمساعدة الممرضات في ارتداء ملابسها وأخذ جرعتها من الأدوية في موعدها قبيل المغادرة، كما تدون الطبيبة المعالجة ملاحظاتها في كشف

الحالة المثبت بظهر السرير, تتطلع بوجه الطبيبة وثمة تساؤل تود طرحه عليها

وتطمئن من الطبيبة على حالتها وتملي عليها عدة توصيات غير الالتزام بمواعيد الجلسات وتناول الأدوية: الراحة الجيدة وألا تقوم بأعمال المنزل المرهقة ..البسيط منها ممكن ، ألا تحمل أشياء ثقيلة ، تناول مسكنات الألم بانتظام في مواعيدها وأخيرا ضرورة الحركة داخل البيت...

تنصت فوزية إليها باهتمام وفور انتهائها تسألها مباشرة

-مكان الرحم بيفضل فاضي ؟

بتفهم وبشيء من التأثر أجابتها بأن الأعضاء الداخلية المحيطة بالرحم تملأ ماكان يشغله الرحم وتقوم الأمعاء بملء ذلك الفراغ حيث يوجد الكثير من الأمعاء الدقيقة والغليظة المتجاورة مباشرة

فتبتلع فوزية ريقها بأسى، ولم تستغرب ما يحدث كأنما تستسلم للطريقة المثالية التي يتعامل بها الجسم مع أعضائه، ويأتى صوت موهوب وعبد

الفتاح من خارج الغرفة وهم بانتظارها لاصطحابها وهي تغادر المستشفى إلى بيتها

قهوة نجم ليلاً وسط الصخب، يتحدث موهوب بأريحية مع فاروق وهو مطمئن أن لا أحد سينتبه أو يسمع ما يقوله بصوت مرتفع وهو يهزأ من حظه بالزواج والحب ولما لا يجد فاروق بد من الحالة المسيطرة على موهوب يقرر أن يقول رأيه دون مواربة ويلحظ أن موهوب ثائر لعلمه بزواج شروق خطيبته السابقة من ابن خالتها رؤوف فرغم بساطة حاله وتواضع إمكانياته المادية، وضغوط أبيها واستسلام أمها إلا أنها اختارته وفضلته على موهوب المهندس ميسور الحال المتيم بجمالها ..

-معقول البنات هم السبب ياهوبا؟

-تقصد أنا السبب يعني؟!

ويتردد في مواصلة الحديث خشية أن يستاء من رأيه وهو يتوقع أن موهوب مازال يريد الزواج بجسد أنثوي بمقاييس الجمال الصارخ، متشبعاً

بفكرته السابقة في أنه يريد أن يكافئ نفسه بجسد شهي يعوضه سنوات التعب والكد في الغربة، ود لو يقدر أن يحرجه ليستفيق من غفوته، ويعرف أن الزواج بين نفوس وأرواح وقلوب وليس بين أجساد فقط، وأن نظرته قاصرة حول الزواج والبنات، ولكن موهوب لن يتنازل عن الاقتران بفتاة تمتلك قدرًا كبيرًا من مقومات الأنوثة، يتمنى له أن يحقق ما يشاء ويجد ما يرغب دونما أن يفوته الاختيار بمقاييس إنسانية لمن ستشاركه حياته، ود لو أخبره بكل هذا ولكن فاروق بتلك المرة لن يتوقع حجم التغيرات التي أحدثتها في نفسه ووجدانه وفكره المواقف التي حدثت في كل خطبة، وكل أوقات الليل ساحرة, نسمات أجوائه منعشة وتصفو النفس ويجلو القلب وتتفتح زهور الأحاديث، تمتد بهما السهرة لبعد منتصف الليل

الأمان شعور سحري مثل قبلة الحياة لكل إنسان وخاصة لو امرأة، وإناث كل الكائنات أيضًا، به تتفتح وتبني وتبدع وتستنشق عبير العمر من فم الحياة، من عنده ترى المدى المتاح أمام سنواتها القادمة, رحب ويتمدد

أم ضيق يوشك علي الإغلاق، وفيروز تخطو كالفراشة والمدى أمام بصرها ملون، شاسع ولاحدود له، وحظيت بالعافية التي هي زبد كل شيء تنشده النفس ولا غنى لها عنه بحال، سلامة البدن من الأمراض ليس وحده يمثلها، وإنما خلو الحياة من منغصاتها والنفس من همومها وشجونها عافية أيضًا.

كجزء من برنامج وضعته لنفسها بعد العملية وقد تخففت من نصف مسؤوليات العمل تجلس على مكتبها تقوم بأشغال بسيطة، تسجيل طلبات زبائنها من الأقمشة ومراجعة كشف الحسابات المالية، وتركيب فصوص الزينة والورود المصنوعة من قماش الدانتيل والستان على بعض الفساتين والبلوزات, عمل عروات الزرايز على الماكينة المخصصة لها ثم تركيبها، وامتنعت تماماً عن أخذ المقاسات وعمل وحضور البروفات للزبائن خشية أن تصطدم إحداهن دونما قصد بمكان الجرح وذلك من الفترة التي أعقبت العملية وحتى بعد كل هذه الشهور الطويلة، إنها تعتني بنفسها

وفق نظام صارم لاتهاون فيه، فيما تركت لمساعدتها الإشراف على القص والتفصيل.

يتردد بداخلها صوت الطبيبة المشرفة على حالتها بالمستشفى:

-العملية أنقذت حياتك من الآن وعلى المدى الطويل باكتشافك المبكر للمرض! فيتلاشى على إثر ذلك كل شعور سلبي يهاجمها من وقت لآخر.

وكما لا يمكن إخفاء السعال فهو مشابه له .. فكلما ألح ذلك الخاطر عليها؛ قطعت الطريق أمامه تارة والانكار والتهرب تارة أخرى، وتستغرق بمشاغل الأتيليه ليصد عنها مشاعر الاشتياق إليه والرغبة الملحة في رؤيته والحديث إليه

ثلاثة أسابيع مرت على آخر مرة التقيا فيها، ثم وجدا نفسيهما وجها لوجه

تقول العيون شيئًا وتتكتم على كثير , اللوعة واللهفة تسبق الحروف على الشفاه، يتأملها بشوق وتتشقلب الفرحة بداخل صدره فيبتسم فرحاً ويقترب منها ويصافحها للمرة الأولى فتتردد بمد يدها ولكنها تصافحه بكف مرتعشة وعلى الفور تهبط زهرتا جوري على كل خد، تضوي كأنما قطعة من قشدة طازجة بالعسل الصافي تسيل فوقهما، تضمهما ولاتنطق بكلمة، فيحيها وهو يتفحصها بعينه، و يسألها عن أحوالها ثم يستنكر تغيبها ويخبرها أنه جاء عدة مرات ولم تأتِ، ولما يلحظ عدم رغبتها بالحديث يسكت متحرجاً وتخبره أنها كانت مشغولة وكم فرحتها لرؤيته اليوم؛ فيمسك يدها وهي تسحبها منه وهي متوترة فيبتسم بلا قصد ثم يقهقه بلاسبب معلن فتضحك هي الأخرى، وتتشابك نظرات العيون وتتزامن خفقات القلوب الفرحة تتراقص على الشفاه ويسيران بجوار بعضهما مستمتعين بوجودهما معاً مكتفيان بذلك عن الكلام وما أن يلتفت ناحيتها يتنهد ولايدري من أين يبدأ وماذا يقول لها؟

-نسيت أسألك يا عمر: مين سماك موهوب؟

-بابا.. والدلع هووبا على فكرة ..ماما كانت معترضة على الاسم واختارت لي اسمي؛ فكل إخوتي تبدأ أسماؤهم بحرف العين ..

-لاحظت

-كان له خال يحبه جدًا ويعتبره مثله الأعلى .. في كل مرة حاول تسمية حد من إخوتى على اسمه .. وأخيرا نجح

فيضحكان وهما يتأملان عيون بعضهما، يستشعرا المدى الفسيح للمودة والمحبة بينهما

-عمر ..

-فيروز.. أنا معجب بيكي و عايز أتجوزك

-انا كمان معجبة بيك.. ماما كان عندها نفس مرض خالتك، فيقاطعها مشفقا ويدعو لأمها بالشفاء فتخبره أن أمها توفيت من سنوات فيتأثر فتواصل حديثها...

وتتبدل نظرات عينه، ينصت إليها ذاهلاً وهو يبتلع ريقه بغصة وبدا متوتراً

ويطبق فمه وهو يحدق بها باستياء غير مصدق لما سمعه وكأنما يستنكر أن يعجب بفتاة بثديٍ وحيد!..مريضة.. تُعالج بعد استئصال ثدييها المعطوب!

صدر عنه صوت وهو يتفوه بكلمات غير واضحة عيونه جاحظة كمن استفاق من غفوة ولم يطل البقاء معها واستدار ومشى.

يحاول تمالك نفسه، يفرك عينه بكفه، غصة تسد حلقة, كأن سقف ما وقع على رأسه، قطع المسافة من الحديقة إلى البوابة هائمًا يدفع نفسه بعيدًا عن المكان، وما أن وصل إلى الخارج استقل سيارته من أمام سوار المستشفى ومضى

ينهي عمله ويسير في الشارع المجاور، يذهب هناك يطل على باب شقتهم القديمة بأسى، ثم يلتفت ويدخل لزيارة خالته صامتاً بينهم، ثم يغادرهم ليسير ساعات بمفرده في الشوارع المجاورة, يشعر بالتعب من طول المشي؛ فيتوقف وهو يرمق دوامة الحياة بمظاهر الحركة والدوران التي لا تهدأ ولا تتمهل .. يطلق زفيراً حاراً وهو يهمهم :

-أسير بينهم؟ أم بين خيبة رجائي وبقايا آمالي؟!

ويستدير عائداً ليقطع كل تلك المسافة الطويلة في طريقه إلي شقته التي يصلها بعد أكثر من ساعة وربع الساعة على قدميه، يتمدد على سريره بملابسه يغلبه النوم أخيرًا..

في الصباح ذهب لعمله يؤديه بجدية وهمة وأيضا بكلمات قليلة, وحركة مفرطة، ولم يهتم كثيراً لنظرات البعض التي استوقفته مرات وهم يتطلعون بوجهه ويدققون النظر، هيئته مهمومة، عيونه مرهقة ذابلة، نظراتها غير منتبهة ولسانه ثقيل في الكلام يحاول تجاوز كل ما يقال مكتفياً بجمل قليلة، يتوتر بسرعة، سريعًا ما ينفد صبره وتهبط طاقته.

الوحيد الذي ألح عليه ليعرف ما ينعكس على هامته وحاله هو صديقه المقرب فاروق، ولم يدرِ كيف يبدأ موهوب في سرد ما لديه ولكنه كعادته ينفعل وهو يصف أسباب دخوله فى تلك الحالة من جديد فبعد امتناعه عن الحكي تنطلق الجمل والعبارات منه بلا توقف وسط ذهول فاروق الذى يميل إلي عدم مقاطعته وإن لزم؛ فعرف من كلامه ما جرى من أمر فيروز والتي يتهمها بالكذب والخداع ويصفها بالفتاة الساذجة المجهولة والغامضة، معدداً بطولاته في عدد ما عرف من البنات الجميلات ونسي ما لحق به من كل واحدة منهن، تنهد فاروق وهو يسمعه ولما توقف لم يعقب .

وأصبح شغله الشاغل بعد عودته من مكتبه هو أن يفتح جهاز الكمبيوتر المحمول ويقلب في المواقع عن جراحات تجميل الثدي

أمامه صور لسيدات وفتيات خضعن لعمليات استئصال الثديين وصور أخرى لمن تم استئصال ثدى واحد لهن

ينظر علي الصور بتأفف ونفور ويغلق اللاب توب ساخطاً

بعد أيام يعاود أجدد عاداته ويشرد بعيداً والشاشة مفتوحة أمامه على صور لفتيات ونساء بلا أثداء بثدي واحد يقابله خط عرضي حل محل ثدي

تنساب دموع ساخنة، ويستدير ويقطع الصالة ذهاباً وجيئة

وقد بللت الدموع وجهه بلا توقف

-خدعتني!

لكنها لم تكذب عليّ .. كان عليها إخباري

لم تأتِ فرصة لتعلمني بظروفها

تعمدت ألا تتحدث بالأمر

كنت أراها بمفردها.. وهذا الشال البغيض يتدلى على صدرها

كانت تخفي به الفراغ الذي تركته عملية إزالة ثديها ..

مسكينة يا فيروز ..

ويبكي بحرقة واللوعة تطلع من عينيه بين دموعه

مع الوقت بدأ يستعيد سلام نفسه، ويداوم على عاداته الجديدة في التنقل بين المواقع الإلكترونية

ولما ذهب لزيارة خالته لم يجد أحدًا هناك، لقد توجهت إلى المستشفى بصحبة زوجها في موعد المتابعة، نزل درجات السلم وهو يستعيد يوم أخبرته فيروز بوضعها فتساءل مستنكراً:

-هل جُرّح شعورها عندما غادرها يومها ؟!.. كان يجب أن أستمع لها ويمتد بنا الحديث لأى نقطة ..لماذا قاطعت كلامها وتركتها؟

50

في المساء يعود موهوب للاطمئنان على خالته ويقضي الليل بصبحة فوزية وعبد الفتاح، وتخبره بعفوية عن مواعيد توجهها للمستشفى وهي متأثرة لمجيئه في غيابها فيما يشفق هو على نفسه لما استشعر من معنى غيابها عن المكان والذى سيكون غياباً طويلاً يوم ما !..

يراجع ليتأكد من رقم الدور واسم الدكتور في نوتة تليفونه يضغط على رقم 9 ويخرج من الأسانسير ويصل في موعد الحجز ينتظر دقائق ثم يدخل للطبيب ويمتد بهما الحديث نصف ساعة أو يزيد بدقائق وهو يوجه للطبيب أسئلة كثيرة ويكرر بعضها فيكرر الطبيب الإجابة ويضيف جديد

يتحرك كثيراً في كرسيه مما يثير دهشة الطبيب الذى يتفهم موقفه من مستوى القلق والحيرة البادبين عليه وطبيعة الأسئلة التي يطرحها والتفاصيل التي يهتم بها

ويلمس منه من قدر المعلومات التي لديه بأنه يطالع ما أتى بخصوصه فيعيد تأكيده على ما ذكره:

–يمكن بناء ثدي تعويضي ..والمسألة حققت نجاحاً أدهشنا نحن الأطباء مما شكل أملاً لكل من فقدت ثديا واحدًا أو الاثنين .. لتعيش كل امرأة بهامش كبير من الرضى والثقة معًا..

ينسى أخذ سيارته من مكانها ويسير أمتاراً هائماً كعادته ولكن تلك المرة يغمره فرح مفاجئ ويخطو على الأرض بخفة وصدره واسع يستنشق نسمات الليل الباردة بنشوة وسرور ..

تمر أيام وهو يفتش عن عنوان آخر، وما أن وجده يتعجب من كونه بنفس المنطقة ولكنه لم يكن يعلم ..

بعد رفع أذان المغرب من مسجد سيدى عواض يقطع شارعه إلي آخره ماراً بمسجد بيبرس عن يمينه، وعلى بعد أمتار منه يتوقف أمام باب الشقة الواقعة بالدور الثالث بالمبنى رقم 7 شارع السلطان حسين، ولا يحمل معه شيئًا سوى فرحة كبيرة تملؤه ورجاءً وأملاً هائلين وبعد لحظات تظهر أمامه فيروز..

تنظر له متفاجئة لا تصدق عينها ترمقه باستنكار فيبادر مبتسماً بثقة!

-السلام عليكم

ولكنها لاترد وتتقلب في عيونها مشاعر متضاربة وهي تسترجع ماشعرت به آخر مرة تقابلا فيها وما أعقبها ..

تجده ينظر خلفها ويعيد إلقاء السلام ويخص الحاجة كريمة بتودد وتقدير وهو يسلم عليها فترد الجدة التي تحدق فيهما بترقب وفضول فترتبك فيروز وقبل أن تلتفت لجدتها يقدم موهوب نفسه لها مباشرة

-عمر حسين أبو السعود.. مهندس .. من هنا من قليوب

جاي أطلب إيد الآنسة فيروز ؟

فتبتسم الحاجة كريمة ويغمر وجهها الفرحة فيما تظل فيروز مرتبكة متجمدة بمكانها...

ترحب به جدتها وتفسح له الطريق ليدخل ولكنه يظل بمحله ينظر لعين فيروز باستجداء، ينتظرها أن تسمح له، وتتوقع كريمة معرفتهما ببعض وتراقب وهى صامتة ..

-أدخل بيتكم يا فيروز؟

فتتفاجأ من صراحته وشجاعته ثم تميل برأسها متأثرة ولاتنطق ثم تبتسم وترفع وجهها وتوجه له نظرة عاتبة فيدخل على الفور وتعيد الجدة الترحيب به ثانية ويجلسوا في الصالون وتمر لحظات ثقيلة عليهما تكاد الأمور تنقلب رأساً على عقب لما بدا على فيروز من تأثر وضيق, فيقطعها موهوب بسؤال:

-فيروز...عندك مانع من البناء؟

تلتفت ناحيته وتستنكر عليه الأسلوب، تظنه يمزح ويخاطبها بالفصحى على سبيل الدعابة كما سبق

ويسكت فتفكر فيما قال وتتوقع ما قصد، فتنظر في عينه وهي تحدق في ملامح وجهه فيؤكد لها بإماءة من رأسه ما توصلت إليه

فتشرق ابتسامة مترددة على وجهها وينتقل ليجلس بجوارها، يجذب يدها برفق في حنو ويقبل باطن كفها..

**تمت**

# سطرين حب..

## عبير ظاهر

إنْ كنتَ ممنْ فَقدوا إيمانهَم
بالحلمِ والحبِ والنُور فلا تَقرأ
هذه الرواية ،حيث الحلُم وهج
الحياةِ في النفُوس ،والحب ماء
القُلوب والنُور غَاية كُل حَي.

رواية سطرين حب هي الإصدار الرابع
للكاتبة الروائية /عبير ظاهر بعد رماد
أحمر ،ومذكرات زوجة أبي، العقد الأزرق.